

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190420

UNIVERSAL
LIBRARY

تفہیم
۲۶

الصَّحَابَةُ وَالسُّوفا

ولي الدين يكن

طبعت بمطبعة المقتطف بمصر

١٩١٠

مقدمة

الصحائف السود مقالات نشرت في جريدة المقطم الشهيرة متتابعة . اردت ان انتقد بها بعض ما يقع في معترك هذه الحياة واخترت حين بدأت نشرها اتخاذ توقيع (زهير) تكتماً لكي لا يمنع رجال الادب من تقديمها حق الود ولكن عرفني اخواني فرجعت عن الاخفاء وعدت الى توقيعى الاصلي واستهلت بعض المقالات من صحائفي السود بايات ومقطعات نظمها على ما يناسب المقام وكنت اود ان استمر في كتابة هذه الفصول حتى ابليها المائة او الاكثر غير اني خفت ملل القراء فاكتفيت بالقليل وسأعود الى مثلها بعد ان اخنار اسماً جديداً

الله الهمنا ان نقول وبصرنا بما نقول فيه فعلى اهل السمع ان يسمعوا ويعلموا ومن اصح خطأً لمخطئٍ مثلي استحق شكره

ولي الدين يكن

الصحائف السود

عيوب العائب

تقد أن ان يعلم الجاهلُ ويصحو من نومهِ الغافلُ
هوئى زائل من بعدستين حولاً كذلك كل هوئى زائلُ
نخل فوآدي جمالاً كذوباً لقد غرّك الزخرف الباطل
فما انت مني اذا مد حبلنا وصادك من بعد ذا الحابل
عيون المها لا تصيب القلوب وللعقل من دونها حائل
فقل للعاظ ورباتها لقد اخطأ النبل والنابل
اذا ما رجعت الى شيمتي فأهون بما يعذل العاذل
موالي جاروا على عبدهم ولا بأس جائرهم عادل
فكم قايسوه بمن قايسوا وكم ناقلوه بمن ناقلوا
ولما رأوا فضله راجحاً بكوا اسفاً انه فاضل
لي الله ما لي اجامل قوماً اجادوا الصنيعة لو جاملوا
اذا انا واصلتهم قاطعوا وان انا قاطعتهم واصلوا

انا اعزك الله شيخ محدودب الظهر . ايض الفودين . متناقل
الخطا . مرتجف الاعضاء . أبو تجارب . ابن ستين . اخو اسفار .
جواب ارض . نقاذفت بي فلوات وتلقفتني فلوات . فكم سهل
كالصحيفة مشيت به مشي القلم . وكم كهف مظلم كأنفؤاد اقلت
به مقام الامل . صرت الى كثير من اقطار الارض لا مبالياً سرى
ولا خائفاً تهجيراً . ما صاحبي إلا عصا اتوكأ عليها في تساري
واقيس بها اعماق مخاضاتي وقد ضج نضوي ومل ركابي بعد ان فت
الزمان في عضدي واشل بالكبر ساعدي . واذ وهن العظم مني ولم
تبق الايام من شباني الا تباريح ذكر يجددها طلوع البدر وهبوب
النسيم وضحك النور وتسلسل الماء واصطفاق الراح فقد ان ان
اخلد الى مصر وانشر بها كتاب شجوني

عرفت في بعض اسفاري شيئاً هو اكبر مني سناً واوفر
تجربة . وما زال ينتقص الدهر من اطرافه حتى اصبح كالترس .
له وجه كحجر الشخذ وانف كاللواب تحسبه ثابتاً وهو يدور
وناظرتان كصباحي مسجد في اخريات الليل . تضائل نورهما وذهب
لمعانهما فهو يتخيل بهما الاشياء ولا يراها . اقام باحدى بوادي نجد
جم الكلاء خصيب المرعى واتخذ له من اغصان الشجر بيتاً ياوي اليه

من قر الليل وحمارة القيظ . فلزمت هذا الشيخ اياماً يجبوني نصيحته
ويعاني علمه . فكان مما قال لي : اذا هممت بعيب الناس فاجعل
نفسك اول من تعيب . فمن لم يعلم من نفسه زلاتها لم يعلم من الغير
زلاته ومن كان بعيداً عن معرفة حقائق ذاته فهو عن معرفة
حقائق الناس ابعد . وقد عاهدت الله لا آخذت امرأ قبل
مواخذة نفسي وما انا ذا موفيا هنا حسابها لكي انتقل الى غيرها
خالي القلب قائم الحجة

كان ابي رجلاً من اغنياء التجار بالبصرة . لما يرزق من
الذكور غيري ولا من البنات غير اختي فاطمة وهي اصغر مني
بسته اعوام . علمنا كلينا القراءة والكتابة واحضر لنا مؤدباً يؤدبنا
فروينا الاتعار وحفظنا سير المتقدمين وبرعنا في النظم والثر .
فلما انقضى زمان الطلب وبلغت مبلغ الشباب اتخذت رفقة لي من
ابناء التجار فكنا نخرج ايام الجمعة خارج البلد ونجلس على شاطئ
دجلة فيؤتى انا بالطعام وبالشراب فنصيد منها حذاً وافراً . كل
هذا ونحن ساقط حديثاً كالدر وهي عقده حتى اذا مالت الشمس
لنغرب نهضنا راجعين وتودعنا على ان نتلاقى في الجمعة الآتية .
وكان ابي مشتغلاً بالعبادة منقطعاً عن الدنيا فلا يجب الراح ولا

شاربها ولا الميسر ولا من . يجيلون اقداحه . وكنت اقول له اني
كنت في رفقة لي نسمع الواعظ وانا خرجنا بعد ذلك الى بعض
الساتين فصلينا فيه صلاة العصر وصلاة المغرب فيصدق قولي
ويدعو لي بالخير . وقد عاش ابي ما عاش حتى قضى نجبهُ ولم يعرف
من اسراري شيئاً . ولا انسى لومه اياي ذات يوم على قول الشعر
وقوله لي : « يا بني لا تكن شاعراً . ان الشعراء لمن اهل النار . »
فتبسمت في وجهه ووعدته طاعة وامثالاً واخفيت عنه منذ
ذلك اشعاري

فلما استخوذت على ارثه بعد وواته جعلت ابذر المال تبذيراً
وهمت على وجهي في اللذات واتخذت لي من الندمان كل خفيف
الروح ظريف الشائل وولجت معاهد المقامرين واهل البطالة فما
دار عليّ الحول الا اماقت املاقاً . وكانت امي خطبت لي احدى
فتيات البصرة وهي فتاة في السابعة عشرة من عمرها ذات وجه
صبيح وأدب غض وخلق سوي فتزوجت بها وورزقت منها بنتين
هما آيتان في الجمال . وتزوجت اخني من رجل غني شرس الخلق
بخيل جاهل ولم تسألها امي رضاها بل رغبت فيه لكثرة ماله
فكانت عاقبة التزويج شراً وماتت اختي في روق شبابهها غماً وحسرة

ولحقت بها امي بعد اشهر قلائل .

وحين اجذب حظي وافل نجم دولتي ولم يبق لي طارف
ولا تليد وامسك اصحابي عن اقراضي وبري وازدحم على باب بيتي
غرمائي عمدت الى الشعر استدر به هبات قوم من أولي الثراء واهز
به اعطاف كبريائهم . فما افادني ذلك سوى ذل السؤال واثم
الكذب . هنالك وجهت امرأتي وبنتي الى بعض اخوتها وهم
يسكنون ضيعة لهم خارج البصرة وودعتهم ودموعي تجمجم كلامي
حتى اذا ارخى الليل سدوله خرجت تحت ظمائه لكي لا يراني
مطالب لي فيأخذ بطوقي وفارقت بلدي وارض عشيرتي
ولم يهنأ لي عيش بعد ذلك وايقنت اني ككتب علي الشقاء
ما دامت الحياة

فاذا دجا الليل وخلوت الى همومي عاودتني نذكري فنبأ
جنباي عن مواضع الرقاد وان هبت الصبا جددت حنيني واستعادت
اشجائي . واخبرني جماعة من اهل البصرة لاقيتهم في بعض اسفاري
وهم لا يعرفونني ان بنتي كبرت وان قد كثر خاطبوها وان امها
ابت تزويجها وقالت لا احب ان افرح وابوها غائب . واتقد حاول
اخوتها ان يثبتوا لها موتي فلم تصدق

هذه قصتي اوهي واقعة من وقائع حياتي ذكرتها لتكون
 بياناً لسيئاتي . ولقد استقام بعدها امري في فاقتي ولم تحل فتن
 الحياة دون طلابي الحكمة وتجربتي الايام . ثم رجعت الى البصرة
 ولبثت بها حتى تزوجت بنتاي . فاستصعبت امرأتي لتكون معواناً
 لي في كبري وهبطت مصر واني لن ابرحها الى ان اتى حتفي

اقول : قد تقدم في بيان ذنوبي ما لا يسعه العفو ولا يحوه
 القدم . هذا مع ضعف في الاخلاق . وسوء في التربية . وكيف
 يختار الكذب على ابيه رجل حسن تأديبه . وانا بني الشرق
 لتزكوا احسابا ويحم مالنا ويعظم نسبنا فلا يفيدنا ذلك الا غواية في
 الشباب وندماً في الكبر . ولو كان ابي احضر لي مؤدباً يعلمني الحكمة
 مكن الشعر أو مع الشعر أو ادخاني مدرسة من المدارس التي
 ليست ببلادنا لتقفت الغربة عودي واغنائي تعلم النافع عن طلاب
 النفع بالسؤال .

كم من فتى مثلي طيب الارومة ثابت الاصل طويل النسب
 رفيع البيت ربي على الدلال ووثق بثراء ابيه فرمى بذهبه يمينه
 ويسرة فلما خرج عن ماله خرج عن مجده ولم يدخر ما يكشف
 غمائه من علم تعلمه في صباه فصار الى شقاء الحد ونكد الطالع

وَضَلَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ضَلَالًا

قالوا ان تعليم البنات مبيع الى افسادهن وما في القائلين
 بذلك من تعلمت أمه وعرف فسادها . ان هو الا لجاج مبین . ابى
 القدماء مزايمة عاداتهم فضلوا واضلوا وحسبوا عصر بنائهم مثل
 عصرهم فشققوا واشققوا . حتى اذا كانت العاقبة اذا هم في اجداثهم
 راقدون . لا يسمعون فتقص عليهم قصص من خلفوا ولا يتعظ
 بمصارعهم من عاش بعدهم ورأى خطأهم ومن لا تعظه العبر لا
 تواله وقعات الصروف

المرأة

ألا ما لسيدتي ناحبه بروحي مدامعها الساكبه
 يكاد على خدها الاحمرار بين لناظره لاهبه
 وليست بمعرضة في دلال ولكن ارى انها غاضبه
 ألا صدقت هذه العبرات وقد كنت احسبها كاذبه
 لمن يذخر الود مسلوبه اذا هو ارضى به سالبه
 تمنيت لو كتبت ما بها ولكنها لم تكن كاتبه
 تفتش ليست ترى صاحباً يقاسمها الحزن او صاحبه
 لقد غلب اليأس آمالها وآملها كانت الغالبه
 ازبلي الحجاب عن الحسن يوماً وقولي مللتك يا حاجبه
 فلا انا منك ولا انت مني فرح ذاهباً ها انا ذاهبه

شهدت مصارع ثلاث نسوة . احدهن قتلها الاستبداد
 والثانية ارداها الجهل والثالثة اودى بها الحجاب . فقل في ثلاثة
 انجم طاعت بافق الصبا ثم احتواها الافول . شباب غض اذوى
 ريب المنون بهاره وانس قريب ابعده وحشة القدر . فاما التي
 قتلها الاستبداد فامرأة جركسية كانت مقيمة مع اهلها بقرية من

قرى (العزيزية) التابعة لولاية (سيواس) . اشتراها احد رجال
 (س ٠٠٠ باشا) من ابها بخمسة وعشرين جنيهاً . فلما قدم بها
 الاستانة على سيده اهداهُ اياها . فاسكنها حرمهُ وكساها وحلاها
 حتى اذا خطرت لديه رأى في مواطىء قدميها مواضع لجباه
 العاشقين نخطب ودها فنظرت اليه بعينين نجلاوين لاواقى
 لقلب رمتاهُ وقالت :

مكاني في خدمة الامير احب اليّ مما عداهُ

فما زادهُ ذلك الا حبا لها واستهتاراً بهواها وما زادها الا
 نفوراً منه وبغضاً . فتمكنت ذات يوم من انفاذ كتاب لابيها تشكو
 له ما تجدمن اشتياقها الى امها واخواتها وتعلمهُ بما تحس به من
 اضمحلال قواها . فاصابت شكايها موضع الرحمة من فؤاد ابها
 واقام اياماً يتزود للسفر اليها . . . فلما عاد من سفرته قالت له امرأته
 كيف حال من بعثها فقال رحمة الله عليها . . .

واما التي ارداها الجهل فغانية كتمثال فينوس استصحبها
 ابوها الى بيروت وهي في الخامسة من عمرها وادخلها هناك احدى
 مدارس الراهبات اخذاً برأي صديق له . فلما تمت علومها التي في
 مدرستها اخرجها ابوها وقد بلغت الثالثة عشرة ووجب عليها

الحجاب ومجاورة البيت ومنعها مطالعة الكتب الا فرنجية . ولقد
 قالت له اذن لم علمتني ما لا تريد ان اعلم به ؟ فقال لها لي
 الامر و عليك السمع والطاعة . فدعي الجدال ولا تشبهي ببنات
 النصارى . انت والحمد لله مسلمة وابوك مسلم وامك مسلمة .
 فامتثلت المسكينة وفي النفس ما فيها

فبينما هي ذات يوم في غرفتها اذا بأُمها داخلة عليها فما تقابل
 النظران الا بادرت الام الى ابنتها قائلة : جاء اباك خاطب
 يخطبك منه . فقالت الفتاة لا أريد الزواج . قالت الام لكنه فتى
 جميل كأنه احد ابناء الملوك . قالت الفتاة مالي وجماله وغناه
 ومشايبته ابناء الملوك . انا لا أعرفه فلا أريده .

ثم مضى شهران وفي أول الثالث زفت المجهولة الى المجهول
 ثم مضى شهران فدخل عليها زوجها يوماً وفي يدها صورة رجل
 مكشوف الرأس عليه ثياب قواد الجنود وفي يده قبعة . ففاردم
 زوجها وثار غضبه وادركته غيرة الزوج فعمد الى خنجر كان يحمله
 فشق به بطن امرأته فاذا هي جسد بلا روح . ولما تأمل الناس
 ورجال القضاء الصورة التي أغضبت الزوج اذا هي صورة واشنطن
 الشهير محيي مجد اميركا !! ..

واما التي قتاها الحجاب فقند تزوجها رجل من اهل اذنه
 شديد الغيرة . دخلت بيته ليلة زفت اليه ولم تخرج منه ابداً حتى
 اذا مرضت وثقل عليها المرض واشتد الالم دعا زوجها طبيباً واخذ
 يصف له ما تشكوه . فقال انا لا ادوي على السماع ولا بد من
 رؤية المريضة وخص موضع العلة . فابى الزوج الاي ذلك . وما
 مضت ايام قلائل الا وقد ازروها في اكنافها وشيعوها الى منزلها
 الابدي . من ضريح الى ضريح

واعرف نوادر غير هذه لا اكف نفسي ألم ذكرها ولا اهب
 القراء كمد العلم بها . هذا فواد كابر كان . له ايام يثور فيها وله ايام
 يسكن فيها . وكم لي عند الايام من ثارات ولكن ضعف الطاب
 وعز المطلوب

على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا
 فواعجبا . الله يخلق هذه الصور فيسمح عليها من الجمال
 ما يستخف لب الحكيم ويودع في تلك الارواح لطف الالهام ونور
 اليقين فاذا هي تكاملت في اشكالها تخاطفتها ايدي المتغلبين فقالوا هذا
 متاع حسن وهو ومسكن لذة ومستقر هوى !!! ضلال في ضلال
 اما لو كان في الغايات مثل جورج ساند ومثل مدام دونواي

لتقاعست همم المستبدين

رأيت رجالاً يبدّرون الممال تبذيراً فادا اقاموا الافراح نصبو
 السراذقات ورفعوا الاعلام واوقدوا الزينات ومدوا الموائد وجاؤا
 بالمغنين والمغنيات واستكملوا اسباب المسرات . كل ذلك ليدخلوا
 بامرأة لا يعرفونها . خطبوها لانها خلقت لتخطب فاذا صارت في
 ايديهم اياماً ماوا حديثها وسئموا قريبا وراحوا يفتشون على غيرها
 فمشاهم كمثل الطفل المدلل يرى اللعبة فيبكي لايه وامه حتى
 يتاعاها له . ثم لا يلبث ان يحطمها ويطحها جانبا ليا تيا له بغيرها
 هذا عصر غارة شعواء يشنها المجددون على شيعة الرأي القديم
 وما ضرفني وقد اشتعل الرأس شيباً ان انقدم صفوف الشبان .
 فان لم اكن صاحب امرهم فما عليّ ان اكون حامل رايتهم . فمن لي
 بصاحب تحرير المرأة ان ينفض عنه تراب القبر ويخرج الى
 الاحياء ليرى مبلغ استفادتهم من رأيه . اما انه لو فعل ولن يفعل
 وقرأ ما يكتبه قوم في ابقاء الحجاب والتحكم على امهات الاجيال
 الآتية لكررّ راجعاً الى مرقدہ واغمض عينيه حتى لا يرى واذنيه
 لكي لا يسمع وانشد قول الحكيم القديم

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

هو وهي

فصل من فصول الرواية

عجباً ينام الناس ليلتهم وأيت أسهر ليلتي وحدي
وتظل عندهم احبتهم وأظل ليس احبتي عندي
أأكون سيدهم وحاسدهم ويفوز جدتهم على جدي
فلا ملأً لك يا عيون قذى ولا سهدنك في الدجى سهدي
ولا ملأً لك يا قلب اسى ولا وجدتك دائماً وجدي
لا لا أموت بحسرتي أبداً ويسر قوماً عيشهم بعدي
في قصر من قصور الملك تحت ليلة من ليالي الشتاء . متغورة النجوم .
حالكة الجوانب . رجل كالراهب المتبتل . بادي الكمد . مستطرد
الخطوات . زائغ البصر . متخاذل الاطراف ينشد بلسان حاله هذه الايات
اخذيت شي في حجرته ساعتين او اكثر مطرقاً مفكراً اسماً كليلاً .
فلما توسط المكان رفع رأسه ونادى : يا هجران . فدخلت عليه بيضاء
اللون . صفراء الشعر . بين القبيحة والوسيمة . فلما مثلت بين يديه قال :
— أما أن لك يا هجران أن تصدقيني وتتعطي بصاحبات
لك حلت بهنّ نعمتي . فاطرقت المرأة ملياً ثم قالت :
— اما اذا لم يكن من الصدق بدٌّ فلا يسعني الا الاخبار بما أعلم

هاتي ما عندك

— الذي اعلمه انها لا تحب مولاي . ما رأيتها يوماً تطرب لذكوره
كما تطرب ضرائرها ولا رأيتها تعجب بشيء يكون فعله كما تعجب
اترابها . والله لا ادري مالها . ولقد اخبرتها احدى جواربها خيراً
— ما قالت لها

— قالت لها ان مولانا قتل اثني عشر تليداً . صب في
فواههم الرصاص . فبكت وقالت اللهم هذا ظلم لا يرضيك
— كل ما تخبريني به خارج عن سؤالي . انا اريد ان اعلم
كيف احرق الستارين

— هذا سر لا يعلمه سواها

— اذهبي فقولي لها اني قادم عليها

نخرجت الوليدة وبقي هو وحده ينظر الى السقف ولا يرى
ما فيه . ثم تقدم الى خزانة سلاحه فاخرج منها ثلاثة مسدسات
جعل اثنين منها في كفه وابقى الثالث بيناه وخرج بعد ذلك الى
حيث خرجت الوليدة

* * *

هي بنت اربع وعشرين سنة . هيفاء ناحة يعلونها اصفرار من

خوف . لها بسمات كأنها بكاء . عليها ثوب ازرق يحملها سرير مفخم
 كأنه صنع لها نعشاً وعلى رأسها وصيفة لها تنصت الى حديث
 كانت بدأتة . لله نفوس يسكنها الارض لتلبث فيها قليلاً وترجع
 اليه سراعاً . قد تلاً في بيت من الشعر ثم تسمو الى مقاصير
 الملوك فتقيم بين عز الجمال وذل الاسر حتى تفيض حيث تخشع
 الابصار وتسكن خافقات الجوانح

فاستطردت هي حديثها قائلة :

- نعم يا جوذر بين شجيرات الليمون في حديقة
 الشتاء . للحين المكتوب والقدر المتاح . كنت غداة يوم
 نهيتني اصوات العصافير تحت كوة حجرتي . فخرجت متبذلة مرسله
 الغدائر . اشم الليمون على اغصانه ونفسي لا تطاوعني الى اقتطافه . واني
 لكذلك اذا بدتمس احد كتفي . فالتفت فاذا هو كالسبع وقف
 شعره ينافوخه . وتطاير الشرر من ناظريه . فتأمل وجهي قليلاً
 وقال لي لا تخافي . فوالله ما طاب لي عيش بمدها ولا قرابي قرار .
 ولقد رفعتني قدراً وجعلني ثالثة نسائه وهو مع هذا كله موتي الذي
 اتوقع دنوه . وبلائي الذي اخاف نزوله . دنالك غاب عليها
 البكاء فلم يسمع بالمكان الا شهيق متقطع وانقب ذلك سكوت

لا يشوبه حراك

ايها العرش لا تفتن ملكات الحسن فقد بكت الساعة
فوقك بلقيس



مكان رجب • فيه ما يزيغ الابصار من متاع الدنيا • يتوسط
رجبه شخصان لتكسر عليهما اشعة تلك الثريات وهي تلالاً بانوار
الكهرباء • ثم هو وهي •••

هو يقول :

— ربّ دلال ادّى الى قطيعة وربّ عناد احال النعم نقماً •
وبيني وبينك لو شئت وفاق تزيده الايام رونقاً واحكاماً • وبيني
وبينك لو رمت خلاف يقضي به الموت الزوام • لا تخدعيني بهذه
العبرات • انا امالك منك لها • فكم خدعت بها سفيراً وكم استوجبت
حقاً • ولما خلوت الى آرابي ضحكت ضحكاً ما اظنك تحسنين مثله
خبريني ما يشكيك مني

— سوء ظنك لا غيره

— أهذا مبلغ ادبك وانت ريبة قصري ونائلة نعمتي
— من وسرف • ثم تهمة بعد ذلك لا تسفل اليها نفس في الوجود

— ألم تحرقى الستارين لتضرمي عليّ قصري

— كلاً

— أتخينني

— كلاً

— ألا يروك ان تعيشي معي مذ الآن

— والله ما استطبت ولن استطيب مما انا فيه شيئاً . واذا

استطالت يمين القدرة على بعض الجسم . فكم فؤاد يقصر عن

ادراكه المتناول

ليكونن ذلك الفؤاد اذن مطعم الدود وليسكنن خفقانه حيث

نشأت كبرياؤه اشربي هذه الكاس التي على اخوان

تتقدم هي بوقار الى الكاس وترفعها بيمينها الى فمها ثم تنظر

اليه بعينين يخالطهما نعاس الموت وتقول :

— غداً نتقاضى الى من لا يخشى ظلمه



هو يقول لجماعة من خاصته :

— عليّ بابي لحيه . وما هو الا ان وقف بين يديه . يتكلم

الشرع على وجهه وهو صامت . فلما رآه سيدهُ قال
 قضي الامر . وقد الحقت بها اثنتي عشرة جارية من جواريتها .
 انا جئت بالذخر الغالي فانظر الى أي الكنوز انت به صائر

سيدتان على قبر امرأة لتحادثان
 — من لعيني حبيبتنا ان تنظرا الى سلانك فلقد نظرنا
 اليه ساعة رحيله .

— من العجائب ان يكون بين الناس من يكون ايامه .
 وينسون مثل ساكنة هذا الضريح

التعصب

لي رفة اجماد وابناء اجماد . اوتوا الفضل ورزقوا النهي .
 تجمعني واياهم مجالس سمر كلما خفت عنا تكاليف الحياة . ففهم
 الشاعر واكاتب والعالم والطبيب والفيلسوف كل يفيض من
 مكتسبات علمه ما يشرح صدور مستمعيه . قال قائلهم ذات يوم
 ياليت فينا فقيهاً يعلمنا من ديننا مثل ما نعلمه من ديانا قالوا له وماذا
 يهيك من دينك وانت مصدق له لا تشك في امر من أموره .

قال ياسبحان الله وهل في زيادة الخير بأس . قالوا كلاً فقال احد
الرفقة غداً آتاكم برجل فقيه اعرفه منذ زمان مديد يسكن داراً
بجاورة لداري . قالوا ذلك فضل نذكركه لك مع ما سبق من مثله
وفي مساء اليوم التالي انتهينا الى بيت رفيقنا الطبيب . فانتظم
مجلسنا واثنا ننتظر قدوم صاحبنا مع الفقيه . وقد اجتمعنا على التزام
الوقار وترك ما كان يقع . بيننا من المزاح وان لم يتجاوز حد الادب
والاحتشام . وما طال بنا البلموس ساعة الا وصاحبنا الكاتب داخل
علينا يقود رجلاً كالجل على رأسه عمامة كالمودج متلفعاً رداءً كأنه
قطعة من اديم الليل . فحياناً وحينئذٍ واجلسناه في صدر المجلس
وقلنا لشاعرنا هات شيئاً نفتح به حديثنا . فقال :

— عن لي خاطر ليلة امس بعد ان نزعنا ثيابي ولزمت
فراشي فقلت ابياتاً ثلاثاً اظنني لم يسبقني اليها غيري

فتبسم الفقيه وقال انا احب الشعر وان كنت لا اقولهُ فهات
ما عندك وما اراك الا مطربنا فانطلق الشاعر ينشدنا قوله

سيدتي اني امرؤ شاعر	أخذ من حسنك ما انظم
تلهمني عينك معنى الهوى	فكل ما اقوه ملهم
قد كنت ارجو منك لي رحمة	لكن قلوب الغيد لا ترحم

قال الفقيه -- المجاملة نقضي بمدح الايات والحق يقضي
بنقدها فاي الحكيم احب اليك
قال الشاعر - حكم الحق

قال الفقيه - هذه اقوال ليست بعصرية وللعصر العشرين
ذوق خلاف ما كان بالعصور الماضية . هلاً قلت مثل اسكندر
سومي الفرنسي وقد توفي منذ نصف قرن في قصيدته التي سماها
الفتاة المسكينة : « انظر الى الحجر حيث نفجرت آلامى التمس
آثار المدامع التي ربما اراقتها عليه امي عند تركي » هلاً قلت كما قال
اندره شينييه في قصيدته التي سماها الصبية الاسيرة : « لئن مرت
ايام فر بما حلت ايام فوا اسفاه ابي شهد لم يمخ مذاقه واي بحر لم تهج
امواجه » هلاً قلت مثل لامارتين في قصيدته التي خاطب بها
البلبل « وهذا الصوت الغريب الذي اسمعه انا والاملاك . وهذا
الزفير الخالص في الليل . هما دن معانيك ايها الطائر المطرب » فلم لا
تقولون ايها الشعراء مثل هذه المطربات

فاكبرنا الرجل وزاد في عيوننا هيبة وقلنا وقه وادب . هنا
وانه ما تقر به الا بين وتركنا الشعر وانتقلنا الى غيره فما فتح احدنا
باباً في علم يعلمه من طب وحكمة الا نفذ منه ذاك القمه . فأفاد

وأجاد فداخلنا الريب في حقيقته . واخذ كل يسر الى من بجانبه ما يراه في الرجل . فقلنا نستنطقه في علمه الذي هو الفقه ونستفتيه في اشياء ربما كنا غير عارفين بحقائقها . واذا كان هذا قدره في امور لم ينقطع اليها فكيف به في ما هو منقطع اليه فقلنا له أتأذن لنا في استيضاح ما اشكل علينا من امور الدين

قال - نعم . سلوا ما شئتم

قلنا - هل لبس القبعة (البرنيطة) محظور ديناً

قال - كلاً . وفي لبسها منافع جمّة . فهي تقي الرأس والوجه

حرق الشمس وتحفظ العين من اشعة نورها

قلنا - هل حجاب المرأة واجب شرعاً

قال - لا . واي شرع يكون شقاءً على العباد

قلنا - ولم يتخرّص بعض الناس بان ذلك حرام وذلك واجب

ويقومون التيامة علينا وعلى من يقولون بمثل قولك الآن

قال - يفعلون ذلك تعصباً واستبداداً وهم يعلمون من

الاشياء ما تعلمون . وهم بعد ذا يحملون ما يريدون ان يجعلوه حلالاً

ألا ترون كيف ينظرون الى النساء يجررن اذيالهنّ ويتهاككن في

مشياتهنّ . وليس على وجوههنّ الاّ براقع تشف عما تعلوه . فهن

حاسرات مقنعات . ولكن لا يعارض في ذلك معارض ويرون
الناس يأتون من الموبقات ما تندى له الجباه وتحمر الوجوه فلا
يعارضونهم ولكن ويل لمن وضع على رأسه قبعة واجتاز طريقاً
ومنهم من يقول الربا حرام وواقف الاستانة في زمان الاستبداد
كانت تقرض المال بالربا فتهب الرجل قدر حاجته من القرض وتجعل
الربح ثمن مصحف يشتره من الولي ثم يهبه اياه . وانتم تعلمون الحيل
الشرعية وما يأتيه اكثر الناس من المتمسكين بالدين

قلنا - هذا كلام لم نسمعه من غيرك من رجال الدين ولكن
هل نتكلم مع اخوانك الفقهاء في مثل هذا الباب

قال - هذا صعب . واخشى ان استثير غضبهم فيصيبني
منهم اذى كبير . وهل فيهم من يجهل شيئاً مما ذكرت لكم ولكنهم
متعصون والمتعصبون لا تجدي معهم المناصرة ولا يقنعهم الدليل

قلنا - وكيف الخلاص من هذه العادات التي اثقلت اعناقنا
واطالت شقاءنا . وكلما هممنا بالفوز في معترك الحياة تكاثرت
علينا جموع التعصب فانقلبنا مخذولين مدحورين

قال - عليكم ان تشكوا الى الشعب استبداد رجال التعصب
ولكن بعد ان تعلموا الشعب او تكثروا فيه عدد المتعلمين وانالي في

بتي مكان يحضره كل جمعة اناس يستمعون دروسي وهم قليلون
ولكنهم مستمرين على الحضور ولا اقرأ لهم الا ما يفتح اذهانهم وينير
عقولهم . ولما بلغ الى هذا الموضوع من كلامه نظر في ساعته ونهض
واقفاً واستأذنا في الانصراف فودعناه آسفين

فلما ولى قلنا لصاحبنا ولم يذهب معه . على من قرأ هذا الاستاذ

قال - على مشايخ قرأ عليهم غيره

قلنا - ومن اين له هذه الحرية

قال - الحرية طبع لا تطبع

ثم سألنا صاحبنا ان لا يخجل به علينا كما وجد سبيلاً اليه

فودعنا ذلك وما مضى على مجلسنا هذا شهر الا تمزق شمله فنفي

اكثرنا وهرب بعضنا وبلغنا بعد ذلك ان هذا الفقيه سجن بالاستانة

ومات مسجوناً رحمة الله عليه

الكحول والشباب

أما لو يفيد العتب لارتاح عاتبه
 قلوبكم هامت كما هام قلبه
 فلا تحسبوه خاسراً ليس خاسراً
 له مثله في أنسه ونفاره
 بأية عين ام لأية زلة
 ألا انه سهم اصاب فؤاده
 تذكرت رهان الشباب الذي مضى
 لقد كنت اقضي ليلتي في حديثه
 سمعت بنات الورق تشد وضحية
 لها مهج فيها هوى تحته اخطى
 ارى اليأس ادنى للشفاء من الرجاء
 وكم من جوى مستكمن في جوانح
 دعوه فهذا البرق لا بد كاذبه
 وامس طلبتم ما هو اليوم طالبة
 تجاربكم زالت وهذي تجاربه
 يراضيه اياماً وأخرى يغاضبه
 نواقبه في حبه ونحاسبه
 وكل فؤاد ذلك السهم صائبه
 فأحزنتني أن لن تعود اطايبه
 يسألني عن حبه فأجابه
 فقلت اسمعوا هذي الطيور تخاطبه
 فإما سرت ربح توقد لاهبه
 اذا غر مطالب سلا عنه طالبة
 اهاب به لوم فحاشت غواربه

عصرنا عصر الشباب . دالت دولة الكحول ومضت نتعثر
 باذيال جدودها المولية . فويل للعابد في صومعته وويل للواعظ
 في بهرة حلقتة . وبعد فما هنالك الا كما قال ابن بحر . شق مائل

ولعاب سائل . وهذا اوان التجديد : لكل سوؤد فيه سبيل :
 السابجات في البحار والمحلقات في السماء . وناقلات الاصوات بين
 متباعدات النجاج . فن كن له فوق هاهنا النجوم مغلب سما اليه
 ومن كان له تحت مركز الارض مرام هبط عليه . اهلاً بك يا ابا
 العشرين ومبتداً الحق ومستهل المجد

قال لي قائل : كل هذه زخارف باطلة تأتي فتستضحك
 وتولي فتستبكي ولقد كنا اسعد منكم حالاً واهداً بالاً . كان يخرج
 الواحد منا في جماعة من احبابه . يتقدمهم الخدم . بايديهم القوانيس
 وفي يده عصاه مذهبة القبضة مفضضة انكعب كأنها قضيب الملك
 فيغشى دار صاحب له . رحبة انقاعات . على حيطانها التصاوير
 وامامهم فوارة يرى ماؤها كرنج من البور . فاذا جلس في صحبه
 جيء له بالشبكات مملوءة من التبغ بكل زكي الرائحة كالعنبر . فمن
 صوري ومن كوراني ومن جبلي . وتدار عليهم القهوة في 'باريق
 من النضة وطاسات مثلها ممزوجة عنبراً . يوقد لهم العود فيفوح
 عبيره وتعبق به جسومهم كذا يتضون اوقاتهم مستمعين سير
 الاولين ممن انقروا و عملوا صالحاً . وانتم يا ابناء الجدة ما تصنعون ؟
 تتوافدون الى الحانات والنوادي فتتغمسون في الملاهي وتذهلون عن

مشاغلكم بلذاتكم وتفخرون بعد ذلك علينا بهذه الجبال الحديدية التي
تدب فوق ارضكم وتهز اركان بيوتكم . تحسبونها تغنيكم ولن
تغنيكم شيئاً

قلت : - على رسلك ايها الشيخ . انت تنظر ولا ترى .
كنت احسبك في بعدك اعقل منك في قربك . فاي نخر تريد
ان تجاذبنا طرفيه واي مجد سبقتنا في لداك اليه وقصرنا عن
مباراتكم فيه ؟ نلك المجالس التي محفلت بكم اخلت امثالها من
ورثتكم . فلا تلوومونا ولا نلذكم . كل عصره دواته ورجائه .
فان ساءتكم هذه الركائب الحديدية فما زالت العيس تستولد . وان
راعكم ما ترون من زخرف فما خلق الله الجفون الا لتغمض دون
ما تكره وتفتح لما تحب . ونحن وان كثرت في قلوبنا شواغلها لا نزال
نطاب لكم من الحياة المزيد ومن السعد المستمر . ولكنكم تنظرون
ما لنا فتمودون لو يكون لكم وتحسون ما بكم فتمتنون او يصبح بنا وفي
التمني من البطل ما ينسي فضل تسليته الحزين

هذا ما بيننا وبين اهل القرون الاولى وان انا الا . من تابعهم
فاذا لم يكن ابن السنين كهلاً يكون ماذا ؟ غيراني . من اوائل من
فتحوا باب الجدة لاهل النشأة المحرثة . فسلام علي يوم ولدت

ويوم اموت ويوم ابعث حيا

هاتوا رجلاً ممن سكنوا البادية واجعلوه في قصر الالبزه
ودعوه حتى يسكن روعه وتثوب اليه نفسه ثم سلوه ماذا يرى . ثقوا
انه لا يجد من الدعة ما يجد في بيت من الشعر . فاذا دنت منه
احدى عقابل باريس في حسن منظرها وكأنها الطيف اطفأ
والامل بهجة قال لها انت فداء سليمي في برقعها وفي خمارها تجر
نصيفها وتهدى في دما لجها وخلاخلها واساورها

للنعيم قلوب وللشغف قلوب وليس للحسن شكل معروف
ولا هياة خاصة ولا حال مستقلة به لكل ذوق حسن ولكل حسن
ذوق . وانما اريد ان آتي في هذه السطور بعبرة احب ان يحتفظ بها
من اعتبر . فان من اشد الظلم ان يتحكم الوالد في ابنه وان يريه على
قديم زمانه ويأبى ان يجهزه لجديده وقد فاته انه يظلم ابنه ويظلم
من خلق ليعاشهم . والاخلاق والعادات كالملابس والازياء . فاذا
سمع بابن العصر الجديد ان يرتدي اردية اهل الوبر فكيف يحمل
به ان يعيش بعقولهم

كان لي صديق استحدثته في احدى ولايات الاناضول خالق
ذكياً وترك لذكائه الذي خالق معه فلم يزد عليه شيئاً . كان اذ

وصفت له عواصم أوزبا كلندن وباريس ونيويورك وبرلين وغيرها وذكر لديه ما بها من معجزات الحضارة وعجائبها فترت نواجذه ضحكاً وغان ما قيل له مبانعة وغلوأ. وطالما رد على من يخبرونه بتلك الاخبار بانها مختبرعة لا حقيقة لها ولا اثر. وكان لصديقي هذا ولد هو اكبر اولاده يحبهُ ويدلله . ولقد ادى به فرط الدلال الى ترك المدرسة فذهب الى احدى دوائر الحكومة وطلب قبوله فيها ريثما يتعود اعمالها . فقبلوه . ولما اتصل ذلك بابيه طابت له نفسه وقرت عينه وجاء يسألني رأيي في ذلك

فقلت له : - ابنك اساء وانت جاريتهُ فيما اساء

قال : - ولم ذلك . والآن لا أخاف عليه الحاجة وما امامهُ الا سلم الارتقاء يقطع درجاته ولا يلبث ان يصبح من الوزراء او الامراء . ولنا اراض كثيرة جم خصبها غزيز ماؤها . غداً تفيض خيراتها عليه وعلى اخوته

قلت : - هذا لا يركن اليه . وليت من ورق اللعب أحكم منه أساً وابقى على مر الحدثان . وقلت الثراء والجاه وكل شيء في ساعة يتضيها امام الاستاذ

قال : - هانت موجود . علمهُ اللغة العربية وحفظهُ اخبار الأوائل

وروّ الشعر وهذا يكفيه

قلت: - كيف تريد ان يتعلم العربية بعد هذا العمر وانا لا ادعي العلم بها وقد تجاوزت الستين !!! وهب انه فاق فيها الاوائل والاواخر أ يكون ذلك مغنياً له عن سواه ؟ روض بالعلوم العصرية نفسه وذوقه طعم الحضارة ومل به عن هذه العادات والنحل . فاصر الوالد على عناده وترك ولده وشأنه . فكان يمشي في المدينة حاملاً مسدسه معوجاً طربوشه مشيراً بذراعيه

فلما نال العثمانيون الدستور وذهب زمان الاستبداد . قابل جماعة من رجال الامن ابن ذلك الصديق ليلاً وهو يتمايل سكرًا فارادوا اخذه الى منزل ابيه . فاجابهم برميات من مسدسه جرحت احد اولئك الرجال وكادت تذهب بحياته . فاخذ الى السجن قسرًا ولم يرض ان يؤخذ الى دار ابيه طوعاً وانطلق ابوه يرجو الناس ان يفكوا له ابنه من وثاقه فلم يجد الرجاء . فلما استوفى مدته خرج صاغراً ممتهمًا . فتوعد اباه بالقتل ان لم يعطه ما يريد من المال وبقي ابوه في بيته لا يوطأ له بساط ولا يقرع باب . واقد رآه بعض الناس ذات يوم ماشياً على قدميه وفي يده عريضة يطلب

فيها الى الحكومة ان ثقيله من بعض ما لها عليه من المال . فقال له
من التقى به

— اين العربة ياسعادة الامير . كيف يخرج مثلك ماشياً في
هذا الوحل تحت هذه الامطار

— العربة باعها ابني ورهن ضياعي وهرب وتركني لا ادري
ايا عصفت به الرياح

الكذوبة ابريل واكذوبة رمضان

تعود الغربيون ان يكذب بعضهم على بعض في اليوم الاول من شهر ابريل وهو كذب ليس وراءه نفع ولا يختارونه خشية من شروما يريدون بذلك الأمداعبة ومزاحاً على انني لا اعلم من تورثوا هذه العادة ولا كيف انتهت اليهم وبقيت الى زماننا الذي طوى عجائب القدماء واكثر حماقاتهم. هذه غرايات تقاع عنها اهل الوقار من الغربيين ولا يستمر على ضلالها غير فئة قليلة من العامة والاحداث

واني لا كاد اذهب في تعليل هذا الكذب مذهباً لا ادري اهو الحق ام ظن انا اظنه وحدي. اخال ان اهل الغرب لما علموا ان الكذب عيب من العيوب التي لا توطن المروءة في قاب انفوا توعده وحرهوه في ايمانهم واذ كنت النفوس منطورة على البسط بما هو محذور رأوا ان يجعلوا لهم يوماً يكذبون فيه لكي ينيلوا الانفس مشتهاها وعلى هذا جرى اهل النسك والعبادة في كل دين. فان الصائمين الذين عافوا ما يلذ في افواههم واستعاضوا عنها بلذات النفوس يغيرون عاداتهم ويبدلون احياناً. فاذا كان وقت الافطار جاؤوا بما لذ وطاب من مأكل ومتمرب وزينوا موائدهم بانواع الفاكهة والنقل

اما رمضان فله اكدوبة يتغذها اكثر المرزئين في ذمهم . فلقد
يهون عليهم ان يكذبوا ولا يهون عليهم ان يقولوا نحن مفطرون .
يملاون بطونهم في بيوتهم ويخرجون الى الاسواق بايديهم المسابح
من اجود المرجان والكهرباء (الكهرمان) ومن البلور ومن العود ومن
العنبر يلوحون بها اذا اشاروا . ومنهم من ينتهرك اذا دانته وفي يدك
سيكارة ويقول لك : اذا كنت لا تؤمن فدع من يؤمنون يعبدون
ربهم ولا تذكر عليهم صفو العبادة . واذا ساوم احداً على شيء يريد
ان يشتريه منه علا صياحه وازرق وجهه وحملق بعينه وجعل
يقول له هذا يوم صوم وأنا رجل يجهدني الامساك عن القهوة
والدخان فاذا زين لك الشيطان ان تملأ رأسي بكثرة كلامك
ضربت بك الارض وأنزلت عليك المصائب

مالك يا اخا الزهد تزهق الارواح وتستنفد الصبر وما لنا نحن
وزهدك . سواء علينا طرت به حتى جعلت اخمصيك على هامة
زحل ام هويت به الى حيث يهوي الكاذبون

في البلاد العثمانية كل المسلمين صائمون . كانت الحكومة
المستبدة تسجن المفطر الى ان يأتي اليوم الثالث من عيد الفطر . وكان
اكثر المفطرين يدعون الصوم ويمسنون تقليد الصائمين حتى لقد بلغ

امر الكذب ان يضرب المفطر في بيته من يدخن بجانبه سيكارتة.
وقد خرجت بها ذات يوم في رمضان وراء امر عرض اريد
قضاءه . فلما ركبت الترامواي رأيت جماعة من الاجانب على
روؤ وسهم القبعات وبأفواههم سيكاراتهم والناس ينظرون اليهم شزراً
ولا يقدر احد منهم ان يخاطب اولئك الاجانب بكلمة تسوءه
وكانت علبه سيكاراتي معي . فنسيت ان اليوم من ايام رمضان .
فأخرجت سيكارة جعلتها في في واقمت انتظر ان يمد الي احد
الجالسين شيئاً اشعلها به فمشت في عيون الركب وجعل بعضهم
يعمز بعضاً مستيراً الي . بلحظه . ففطنت لموضع خطائي وقات اداويه لكم
ايها الكاذبون بالكذب . ثم وثبت من مكاني بغتة كمن تذكر شيئاً
كان نسيه وقلت : لعن الله الشيطان . كدت والله ادخن سيكاراتي
وأنقر صومي ونظرت الى رجل جالس على يميني وقلت مؤنباً له :
كذا يا اخي تراني اهم بما يفسد علي صومي ولا تنهيني الى ما كاد
يفرط مني عن غير عمد وأنت تعلم ان الدين يقضي علينا بالنصح لمن
سها وان لا يعرض الأعمن تولى . فابتسمت الثغور وسري عن القوم
واقدم دعائي وأنا في بلاد الاناضول احد الولاة الذين تفتخر
بهم البلاد لافطر معه . فاجبت الدعوة فرحاً باستماع حديثه والجلوس

اليه . فدوى المدفع والمائدة . كظهير السلخفاة مما اعياها من الاطعمة
والاواني . فقال قائل : ارى زهيراً قليل الاكل كأن باضراسه فلولا .
فتبسمت وقلت : هذه الاضراس ارادها اخو ذبيان بقوله :

تورثن من انهار يوم حليلة الى اليوم قد جربن كل التجارب
فلم يفهموا ما اردت . فشرحت لهم البيت . وعرفتهم المراد ثم
قلت : كان الاحسن ان اشير الى قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بين فلول من قراع الكتاب
ولكن ايت ان تشاركوني في مجدي . فضحكوا . ثم قال لي
الوالي : بالله عليك يا زهير الاما صدقتنا . أنت صائم حقاً ؟ قلت
لا والله ولا صمت قبل اليوم في حياتي فكاد الوالي ينفطر ضحكاً .
اما الحاضرون فبقوا واجمين كأن قد صب على رؤوسهم طست فيه
عشرون اقة من البترول . فعلت اني مغضبهم في ليلتي . فلما انتهينا
من الطعام وخرجنا الى المكان المعد للتدخين دنا مني احد المعممين .
وهو رجل كالجرادة له الحية كقائمة المزد وعينان كزيتونتين .
فنظر في وجهي ملياً ثم قال لي :

- لم لا تصوم ؟

- لا ادري

— كيف لا تدري ؟

— ككل من لا يدري

فغلب الضحك على الرجل وتحييت انا جانباً لكي لا يطير في وجهي رشاش من فيه . فقال :

— مالك تنأى عني . اغول انا فبخافني ؟

— كلا . بل فك رأحته منتهة فلا اقدر ان اشمها

فوالله ما امهلني ان اتم كلامي بل ولى عني غير ملتفت وراءه

ثم قصّ على الوالي ما وقع له معي . فقال له الوالي :

— اياك ان تحرك عليك اسانه . اما انه لينزع السهم ويصيب المقتل

ولقد جاءني رجل في رجاء حسيبي محلاً له وكنت اشرب

قليلاً من الماء فنسي رجاءه وجعل يعنفني . فلم املك الغضب .

فقلت له : امن أجل هذا اتيت الساعة ايها الفضولي . اخرج والاً

رمى بك من أعلى السلم الى اسفله . نخرج ثم عاد وهو يقول

وعينه مغرورقتان دموعاً : جئتك راجياً فلا تخيب وايبك رجائي .

فسمعت رجاءه وصرفته عني واعدأ اياه خيراً

وكان اكثر اصحابي من مستخدمي الحكومة يعرجون على داري

يشربون فيها قهوتهم وسيكاراتهم حتى اقد قلت لهم يوماً : احمد الله

كثيراً . لقد جعلني صاحب قهوة الكاذبين . فنظروا اليّ وقالوا :
التقى الله

اما الآن فلا ادري كيف حال الشبان في الاستانة . فقد
اعلنت نظارة الداخلية بوجود المبالغة في حجاب السيدات الستات
وتوعدت ذويننّ بالعقاب اذا بدا منهنّ ما يخالف هذا الامر .
والخبر اليقين عن المفطرين هو في مطعم توقاتليان ويني في الاستانة .
وفي مصر من الحرية الشخصية ما لا يضطر الى التوارى عن الابصار
والاختباء تحت الموائد ولكنّ في الناس كثيرين يفعلون ذلك .
ولولا اني شاركت بعض الاجانب في الكذب معيهم في اول يوم
من شهر افريل وذلك حين كنت ابن عشرين سنة . لجارت اهل
المساج الى الكذب . غير اني جالس امام مكتبتي وعيني شاخصتان
الى الساعة وقد دوى مدفع الظهر الذي افطر عليه . فاكتي من مقالتي
بهذا القدر وموعدي مع القراء الجمعة الآتية ان شاء الله تعالى

ليلة القدر

عبادة الانسان للخالقِ عبادة الطالب للرازقِ
 لولا عطاياهُ وجناتهُ ابوابهُ باتت بلا طارقِ
 هل تعلم الحور وما خوطبت كم بيننا من ناسك عاشقِ
 يسجد لله ليحظى بها نسك كذوب في هوى صادقِ
 سيدتي انت تقدمتها والفضل لتسابق لا الملاحقِ
 ان ندخل الجنة يوماً معاً ندخل من الغيرة في مازقِ
 هذا نعم لست ترضينهُ في ثامر منه وفي وارقِ
 وهذه الدنيا بنا برة لولا تكاليف على العاتقِ
 يارق ناس لياهم كلهُ ما اطول الليل على الارقِ
 يرتقبون بارقاً فوقهم وكم بهذا الافق من بارقِ
 ان الاماني تشوق الورى والفس تنقاد مع الشائقِ
 وطالب النعمة من منعم كطالب السقي من الواديقِ
 والدهر لا يخرج عن نهجه سيان للراضي وللحائقِ
 ويسمع الخالق من صامت ما يسمع الخالق من ناطقِ
 انتبهوا يا قوم من نومكم الله لا ينظر من حائقِ

إذا جاء اليوم السابع والعشرون من شهر رمضان. تزاحم الناس على الجوامع . فإذا قضوا صلاتهم جلسوا الى حلقات يستمعون فيها الاذكار ويكررون التسبيح وبتهلون بالدعوات . فاذا فرغوا من ذلك عادوا الى بيوتهم فصعدوا السطوح وفرشوا ارضها بالبسط والحصيرات وجلسوا يرتقبون ليلة القدر — وما ادراك ما ليلة القدر؟

— ليلة القدر . خير . من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر . سلام هي حتى مطلع الفجر يقولون ان ابواب السماء تفتح ثلاث مرات متتابعات . في ساعة من ساعات ذلك الليل . لا يعرفها احد ولا ينتبه لها الا من اراد الله له الخير . وتكون كل فتحة كالبارق اذا ومض . فينبغي على العاقل ان يدعو بما قل لفظه وكثر معناه . وان يجعل دعاءه ثلاث جمل متتابعة . فيقول عند الوميض الاول : اللهم هبني مالا لا يعد . وعند الوميض الثاني : وكلمة لا ترد . وعند الوميض الثالث : وادخلي الجنة بغير حساب

هذا لعمر الله التلغراف اللاسلكي الرباني يرسله به عباده كل عام في ثلاث ثوان . ولقد روى لي راوية وعهدة الرواية عليه

ان عجوزاً رأت الوميض الاخير وقد خرق الفقر اطرافها حتى
 اصبحت كنسج الغرايل . فغلبت عليها القنعة . فقالت في دعائها :
 اللهم سد خروقي كلها . فلما اصبحت رآها الناس وقد مسحت عيناها
 وسد فمها ومنخراها واذناها سداً محكمًا فماتت محبوكة الاطراف
 طامسة الشكل . رحمة الله عليها

ورأى آخر ايلة القدر . وكان السيب انبت بشعره ثغامه فقال
 اللهم اجعل يياضي سواداً . فما اصبح الا وكله سواد يسعى في اديم
 لو كان ايلة القدر لما تألق فيه بارقها

وكان رجل لا يرزق ذرية فقال : اللهم املاً بيتي صغاراً .
 فانتبه في الغد على صياح ملاً بيته حتى ان ظن الحيطان تتصايح . فاذا
 هو بنحو الحسين صبياً لا يزيد طول واحد على الشهر يجاذبون
 امرأته ويتواثبون حول سريره . هذا يقول ابي وذلك يصيح ابي
 وكلما حاول مع امرأته الهرب حالوا بينها وبين الباب . فرأت المرأة
 ان تأتهم بشيء من اللبن في وعاء كبير لتقتسمه بينهم . فوثب بعضهم
 في الوعاء فغرق فيه . فعلا بكاء الآحرين . فلما ضاقت الحيل بالرجل
 وامرأته رميا بأنفسهما من كوة تطل على الطريق وارسلا ساقيهما
 للريح فراراً

لما كنت صغيراً كنت اجلس الى بعض الشيوخ فيقصون عليّ
 هذه النوادر وانا اكاد اموت ضحكاً . ولقد قلت ذات يوم لرجل
 منهم : تعالى الله عما نقولون . أ يكون الحكيم العادل . يعلم ما تخفي
 الصدور . ثم يفهم الدعاء كما يفهمه عبد الحميد . فضحك الرجل
 حتى سال لعابه على لحيته

وكانت عندنا قهرمانة عجوز طبعت على الوشاية وسوء
 الخلق . فما ترى مناشئاً مما يتلوه المشبان الأوشت بنا الى ابي
 فينالي من تأنيه وغبه ما ينغص حياتي . فلما كانت ليلة القدر
 وكنت على موعد من رفاق لي لتقضي هزيعاً من الليل في انس
 رتبناه ورأيت تلك العجوز لا تفارق خطاي دفعت اليها تقويماً
 كان معي وقلت : هذا دعاء ليلة القدر . حسب المرء ان يجعله على
 صدره وان يجلس على السطوح رافعاً وجهه الى السماء فلا يلبث
 ان يرى بارق القدر . فاخذت التقويم مني جذباً وسمعت في
 صدرها ضحكاً كقعقعة الطاحون . واقامت ترقب البارق واقمت
 اجتلي المسرة في صبحي

آه ما اكثر اختلافات الاهواء . لو علمت ان سيباب
 دعائي لقات :

يارب « ارحم العصب من القلوب · واجعل الناس اخواناً ·
 واحبس السنة الادعياء عن الشعر والبيان » · هذه ثلاثة اتمناها
 ولي من الحظ ما قدر فكان

تفتأ هذه الاوهام تربي في اعشاشها فتدرج منها لتأوى الى
 عقول تخاذلت عن فتحها جنود العلم ويدوم هذا العصر في معجزاته
 بهر الابصار ولا يلامس البصائر · فكم من حكيم يأتيك بالباب من
 حكمته فتزوي عنه وجهك وتهبه اعراضاً ويجد المعجم ذو الاظافر
 الزرق واللحية المتفشة فوادك أدنى الى غيه من فواده فيأتيك في
 شماته يجر فضول ردائه فيستطمعك ثم يد اليك يده لتقبلها

بلغني ان شيخاً من اهل الزهد صعد على احدى المنارات في
 ليلة القدر واخذ في الدعاء والتسبيح فغلب عليه النوم فنام · فرأى
 في منامه كأن السماء انشقت عن نور ملاً الآفاق وبهر الانظار ·
 فنزلت الملائك في اجنحتها الخضرة ترفرف بها على رؤوس الناس ·
 والناس ما بين ساجد وراكع ومبتهل فأخذ الشيخ في الدعاء فقال :
 — اللهم انزل علي فتاة تكون حسرة العشاق وحرقة القلوب
 اذا دنت ملأت العين نوراً واذا نأت اودعت الفؤاد كمداً · فما
 اتم دعاءه الا وهبطت عليه فتاة هي اجمل مما طلب · فمد اليها يمينه

ليعانتها ويضمها الى صدره . فما راعه الأ صوت كف رنَّ على صدغه
اليمين جاوبه بمثله على الایسر فانتبه مدعوراً فاذا المؤذن امامه يقول له:
ايها الشيخ الصاقع . ألا تستحي ؟ انيت لأؤذن اذان
الفجر فرأيتك مضطجعاً فأنخيت لارى ما بك واذا بك تفتح ذراعيك
لتضمني اليك وأنا رجل لا يمزح مع مثلي . فنجعل الرجل وايقن ان
الله لا يستجيب لمثله دعاءً

المحتلمون يخرجون من مصر

اتعبتني كتاباتي فوقف القلم في يميني مستعصياً . غلب عليه
 الاعياء وسئم طول المشي على رأسه . فقلت مالك ؟ أهكذا دأبك ؟
 جولة ثم تضمحل ۱۱۱ فاما وقد حرنت حرانك فلن تستعيد
 جولائك او يكون لك شجو يدعوك فتجيب . ثم القيت بالاسود
 المعاند الى جانب دواته وقلت : ليكن عطنك بحيث يكون حوضك .
 وتحييت في حجرتي جانباً واضطجعت على متكأ لي لا بذي سندس
 ولا استبرق ولكن مما يستلينه جنب الشاعر الملق . وهناك غلني
 العاس ونمت نومة هي الى الموت اقرب منها الى الحياة

فرايت فيما يرى النائم كأنني اسير الى ميدان عابدين . فلما
 وافيت مدخل الميدان مما يلي الشارع الآخذ من ميدان الاوبرا اذا
 جموع من الجنود المحتلة لتقدمها موسيقاتها ويقودها قرادها مشاة
 وفرساناً . تخفق بينها الاعلام البريطانية التي اظلت الامن والعدل
 بمصر في اكثر من ربع قرن . وباطراف الميدان جماعات من الزراع
 والسوقة يتوسطها بعض تلامذة المدارس وآخرون جعلت التعرّف
 بعضهم كلما علق بهم نظري . فالتفت الى وسط الميدان فاذا العلم

البريطاني والى جانبه العلم العثماني يصل بينهما رباط اخضر اشارة الى الود والاتحاد وإلى امام العلمين منبر ذو درجات اعد ليخطب عليه من لا اعرفه

فما طال بي الوقوف الا واقبلت عربية تقودها ست جياذ يتقدمها فرسان ويتبعها آخرون بايديهم الرماح وعلى اسنمها الاعلام فنظرت الى العربية فاذا امير البلاد المعظم والى شماله رئيس النظار وامامه احد النظار . وتلاحقت بعربة الامير عربات كثيرة وسيارات عديدة فيها قناصل الدول وخلق لا يحصى لهم عدد من سراة الاجانب ورجال الصحف الاوربية . فوقفت عربية سمو الامير امام سلم الامارة وصعد أعزه الله وتبعه اكثر اولئك الاجانب . ثم اقبلت عربية من جهة شارع قصر النيل يتقدمها اربعة فرسان ويتبعها مثلهم بايديهم السيوف مسلولة وعلى رؤوسهم القبعات البيض واذا الراكب الجنرال ماكسويل قائد جيش الاحتلال فسارت عربته حتى وقفت امام سلم الامير . فصعد الجنرال كل هذا يقع وانا لا ادري ما هو . فحانت مني التفاتة فرأيت الى جانبي شيخاً دق حتى صار كالعمود الفقري له رأس كراس السنة ولحية كالتقويم وانف كالمسدس وعينان كأنهما برقوقتان . على رأسه

عمامة كالبصلة الكبيرة . فدنوت من الشيخ وحببته فخياني بصوت
كصوت البوق . فقلت يا استاذ ما هذا الذي نراه ؟ فنظر اليّ
نظرة ملؤها عجب وقال :

— افني سفر كنت ؟

— كلاً . وما تعجبك من سؤال لست اول من يسأله ؟

— الامر معلوم . المحتلون يخرجون الآن من مصر . وتسمي

مصر مذ الساعة وهي للمصريين

فبقيت كمن يسمع رطانه لا يفهمها والشيخ مخلق باصريته كأنه
يحسبني جننت . فقلت هوّن عليك انا مريض تعاودني الحمى اغياباً
وانسلت من جانب الشيخ لانظر ما سيقع . فاذا سمو الامير نزل
من قصر عابدين يماشيهِ قائد جيش الاحتلال ووراءهُ نظاره
الكرام . فساروا حتى بلغوا موضع العلمين . فصعد قائد الجيش
المحتل على المنبر وخطب الحاضرين فقال :

« نحن الآن يتنازع قلوبنا عاملان . واحد للفرح وآخر للحزن .

فاما عامل الفرح فبأن اثمرت مساعينا لاضلاح مصر حتى لتستطيع
ان تعيش وحدها . واما عامل الترح فبأن سنودع وادي النيل
وابناءهُ بعد ان طاب لنا المقام واستحكمت في قلوبنا الالفة . الا

وان كل عارية يوماً تستردّ . وما بعد المقام الأّ الزّماع . على ان
لنا في مودّات هذه القلوب لذكرى نستعيد بها عذب ما فات .
واني ومن اقود من جنود بريطانيا العظمى لنسلم على امير مصر
المعظم سلام وداع ونهدي مثله لبني مصر المحيين . فليحيّ سلطان
العثمانيين فليحيّ ملك بريطانيا فليحيّ امير مصر

فما اتم القائد خطبته الاّ عزفت الموسيقى العسكرية بالالخان
الملكية الثلاثة . ثم نزل وصافح امير البلاد وركب عربته والى
يساره ناظر انظار بالتيابة عن سمو الامير وسارت الجنود تؤم
المحطة . فرأيت ما لم أراه وجمعت اتبع هذا الجمع الذي تلعب في
جوانبه الاسنة وتخفق في خلال عثيره الاعلام . وقات الان ننظر
ما سيكون من امر الفائزين بهذا اليوم المحجّل الاغرّ

فاذا شرذمات من اهل الضوضاء وسكان الاعشاش . قد
عصبوا رؤوسهم بمناديل حمر وبايديهم العصي . نتقدمهم عربات
فيها رجل كالخيار التنبر له شارب اسود يخاله على البعد رائيه
غمد خنجر . على رأسه طربوش اعوج والى جانبه آخر مثله ولكنّه
منتفخ البطن كالبرنية وفي يده شيّ يشير به لم اتينّه جيداً واحسبه
سوطاً . وامام العربية بين هؤلاء الجموع رجل اسود الشاربين طويل

القامة مععم مكم يحمل على كتفه مشعلة مغطاة (بكوفية) من كوفيات المحلة الكبرى وقد جمع ايما جماع . فكان ينظر يمينه ويسرة ويصيح بلء فيه قائلاً (ملحة في عين اللي ما يصلي على النبي) فتأملته فاذا هو احد مشاهير الكتاب والخطباء عزيز القدر بين اشياعه . فتركته وحبله على غاربه وقلت انظر الى غيره . فسمعت احد من في العربة يقول لجماعة من المشين :

— اذا ركب الجنود القطار وسار بهم حتى غاب عن الابصار . تذهبون من ساعتكم في جماعة من الشداد الى ادارة كذا فتهدمونها على من فيها ثم تفعلون ذلك بادارة كذا ثم استعملوا لنا عن هذا الخيث الملعون الذي يسمي نفسه زهيراً فاجعلوا في عنقه حبلاً وجروه على وجهه ثم القوا به في النيل . فهممت ان اصيح بذلك المتكلم واقول له غريمك قريب منك يسمع كلامك وها هو امامك ولكن امسك بذراعي رجل فالتفت فاذا هو صاحبنا (نقاد) وكأنه عرف ما اريد فقادني الى خارج تلك الجموع . فقلت اهلاً وسهلاً بالصديق . ما جاء بك الى هذا المزدحم ؟

— كنت ماراً في شغل لي فلما رأيتك اتيت لاجراج بك فأخبرته بما سمعت وقلت يخيل الي ان هذا الرجل وصاحبه

سيخطبون فإعلم بنا نسمع رطاناتهم : فقال نقاد اما وعيد القوم فكما
قال صاحبك احد الشعراء الغابرين

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعاً ابشر بطول سلامة يا مربع
واما خطيبهم فقد سئمنها ولا حاجة بنا الى سماعها حين
تستعاد ولكني أماشيك الى ميدان الاوبره على ان تعود معي .
قلت لك عليّ ذلك - فسرنا . فلما بلغنا الميدان اذا بتمثال البطل
المغوار ابراهيم باشا وثب بجواده الى الارض ووقف امام الجنرال .
ثم اشار بيده اشارة استوقفت تلك الجموع فاشترأبت الاعناق وجالت
فيه الابصار . ثم غابت سورتُهُ على النفوس واستوت هيبته على
الافئدة وهو كما هو في تمثاله مشيراً بيناهُ وعيناهُ يتطاير منها
الشرر فقال بصوت يملأ الصدور :

« قفوا . قفوا . مثل هذا الجمع من اهل وطني قدته حتى وطأت
بلاداً لها عليّ حق السمع والطاعة . ومصر كالسبية بين المتقاتلين .
فلما اتيت بمبرها وقد خطبها لي عدل ابي ورددت دونها أكف
المتطاولين واقمت لها طول مجرى النيل مهرجاناً من العز ما فاتهُ
الأعز ابناء الشمس وعهدي وهي في عزتها يكب لديها الجبابرة
على اذقانهم وانتقلت الى طيب من اخلافي هب اناس يغالبون

الطيب . حتى صار ما صار وحمي الحمى بهذه البواتر ونامت
الاعين في امن هاته الاعلام وتريدون اليوم ان تخرجوا من مصر
ليصبح عاليها سافلها وليجري هذا النيل احمر قانياً . كلاً ثم كلاً .
لأصيحن صيحةً تحرق حجب الازل وتنفذ الى من ولجوا غابته
ولأبعثن لكم من تحت المقابر اجساداً تسد دونكم طرق الرحيل . اما
والهرمين والنيل ليدخلن اهل الطيش غداً على العذارى في
خدورهنّ وليأخذنّ بنداءرهنّ وليقومنّ بعد زماعكم من الشر
اضعاف ما اتى بمقامكم من الخير . ارجعوا ان تكنتكم ماجورين
غير مأزورين انما يانس اليكم اهل الوقار وانصار الفضل « فما بلغ
هذا الموضوع من خطبته الا بدأت شؤون عينه تخضل تلك اللحمة التي
طيبها العثيري مواقف الحفاظ . فقلت يالك من يوم ما حسبتني اعيش اليه
وقد علا ضجيج في جوانب الجيش . فاذا اناس من عليه القوم
كشف الرؤوس وبايديهم الرياحين يصيحون بتلك الجنود ان
لا تزالن مساكنها . فالتفت ورأيت لانظر ما فعل من كان في
تلك العربة فلم ار شيئاً . فاعدت النظر الى التمثال فاذا هو مكانه وقد
تفرقت تلك الجموع فانتبهت من منامي وقلت لا رجعت ان فراشي
قبل ان اوافي قراء المقطم بقصتي

مقتل فرر

اغمدوا البيض يا ملوك البلاد ما تريدون من رقاب العباد
 ان هذي الارواح ايست رعايا حسبكم اسر هذه الاجساد
 كل تاج وان تعاضم قدراً دون كبد من احقر الاكباد
 ومقام الملوك بين قصور كمقام الرفاة في الاحاد
 حين يبكي اليتيم فقد ابيه أي نخر لهذه الابراد
 كيف يحى الملوك في مهرجان والرعايا لديهم في حداد
 اخوة يشتكون ظلم اخيهم وكذا كان سالف الاجداد

* * *

يا قتيل العلياء يومك ابكى كل عين خلا عيون الاعادي
 يمتنى الكريم لو صرت منه بدل القبر في صميم القواد
 عشت حرّاً وليس يسعد حر طال عهد الاحرار بالاسعاد

هن ثلاث رصاصات رميت باسبانيا فجاءت دويها بلاد الله
 في اوربا وآسيا وأفريقيا وأمريكا . ثلاث رصاصات رمتها حكومة
 متمدنة بمشهد من حكومات متمدنة فقتلت رجلاً متمدناً . حر

اشقتهُ حرّيتهُ عارف اجيدتهُ معرفتهُ ومنصف ارادهُ انصافهُ. ذهبت
 خمسون سنة في سبيل الخير فخال الشر دون استمرارها . فلا السماء
 انشقت ولا نجومها تناثرت ولا الارض ماتت ولا اوتادها قلعت
 ولكن هاج بنو الانسان رحمة على ابن الانسان

لو قتل فرر قبل اليوم بعشرين سنة لما وجد عليه الناس هذا
 الوجد ولبقي الجزع في قلوب من عرف حقيقتهُ من بني جنسه وقبيل
 من غيرهم ولكن فرر اثر حب النوع على حب الجنس فكان اكثر
 الناس احبة واكثرهم نعاةً

ابي زعامة الفرد على الجمع وكره ان يرى انساناً يرفلون في ثيابهم
 المخملة يجرون اسيا فهم وتحقق على رؤوسهم خرق فوق قضبان
 يسمونها اعلاماً وان تكثر حكومات الارض من جمع هؤلاء في
 ازياءهم المضحكة لتقتل بهم امثالهم . انف ان يرى اخوته ابناء آدم
 يتنازعون اكنافاً من الارض ليست لهم ولا لغيرهم ولكنها لكل
 الناس . سئم ان تشاد البنائات الشاحخة يفرغ عليها الذهب وتزدان
 بالباهر من الزخرف لتكون معابد يعبد فيها الله والله صاحبها من
 قبل ومن بعد

فما يجزع على فرر سكان القصور العالية ولا المدخرون للذهب

والفضة ولا سرقة الاقوام ولا الوزراء ولا كبار الموظفين وانما ييزع
عليه المنفيون الى اقاصي سبيريا حين يعرض الحديد على سواعدهم
والمقيمين في ظلمات السجون في سائر اقطار الارض بل يبكي عليه
من ذاقوا مرارة الظلم والاستبداد في اسر المستبدين من الناس .

الارمني الذي قتل اقربوه في مذبح الاناطولي وانتركي الذي
اتى ذوهه في لجج البوسفور والعامل في اعماق الموانئ محروماً من
نور الشمس واحف الهواء والفقير الذي يحس بالفاقة ولا يتجاسر على
شكايتها . كل يندب فرر كما كان فرر يندبهم

مساكين انصار الاحرار . يريدون ان يخلصوا العباد من الظلم
فيقعون هم تحت الظلم . اذا تعلموا فبعلمهم ينفعون الناس وان اثروا
فعلى المترين ينمقون من ذلك الثراء . يتوجعون لاوجاع غيرهم ويرثون
لشكاياتهم ولو شاؤوا لعاشوا سعداء متمولين يمسون في نعمة وبعدون
في اخرى . يودون لو تساوى الناس في الحظ على قدر المستطاع
وهم بعد ذلك يؤتى بهم الى اماكن القصاص فيقتلون ثقيلًا

عجياً يسرح باز مير جا قيرجه لي وهو لص سارق قاتل معند اثم
تطلبه الحكومة بين الجذوع والصخور وفي الوديان وعلى الآكام وقد
قتل اربعمائة نفس ونهب اكثر من اربعمائة الف جنيهه وأضره المعامل

والقرى وامكن شهواته من الارواح والاموال فيخلص واذا هو وقع
غداً في اسر القانون حوكم وجيء له بمحام ينكر على المحكمة آثامه
وجنباياته واذا جرح ضمدت جراحاته ليشفي ويسأل بعد شفائه عما
جنت يده و مثل فرر الذي اسس المدارس وافاض الخير على بني
الانسان واحيا مائة الآمال بحاكم سرّاً ويقتل جهراً ولا تجدي في
نجاته شفاعة الشفعاء

يرجع البطل المغوار من احدى غاراته يجرر وراءه الاسرى في
الاعلال والاصفاد وجنوده يدفنون القتلى على ذرى الهضاب وكثيراً
ما يقونها في مستراد الضواري ومهبط القشاعم فيدخل على رجل
يتألف التاج على مفرقه ويهتز السرير بكبريائه فيقول: قتلنا كذا
ونهبنا كذا واحرقنا كذا فتفتر له نواجذه فرحاً ويتهلل وجهه سروراً
وتغدق عطاياه على القاتل الناهب المحرق ويقام له تمثال تخطب
امامه الخطب وتنشد القصائد وتقام الافراح

النفوس التي تأوي الى هذه الجنوب تستطيب السيئات
وتستكره الحسنات . ما انق سريرة الوليد الى حين يدرج من عش
صباه . تبسامة تستضحك وزجرة تستبكيه . فمثله كمثل البلبل
اذا جاء الربيع واورقت الاشجار وصوحت الازهار ومجت سحرة

لعاب الندى وانسابت على اعطاف امالدها خيوط الشعاع واستمر
 الغدير في خريره والنسيم في هيفته داخله الطرب فصفر في
 مهرجان الطبيعة ليطرب نواميسها واذا كان الشتاء وذبلت الغصون
 وذوت الاوراق واكفهر وجه الافق انكش البلبل في عشه واقام
 في بشه

الى الله اشكور ما يتجرعه الانسان من الانسان . ملك كريم
 يصبح شيطاناً رجياً . وما الملك بذاك الذي يتوهمونه اخضر الجناح
 باذي الشباب ريشه ولا الشيطان ذلك الذي يتخيلونه مشتعل
 الناظرتين دامي الالهة والمناسر كلاهما خيال لا وجود له بحيث
 يظنون ان هما الأبين الناس ومن الناس

اذهب يا فرر الى حيث مصير العناصر وما تها . تلق سكوناً
 لا تشوبه حركات الغوايات . رقة هذه كلنا راقدها غداً . فاذا
 لاقيناك صاخنك وشكرناك واذا طال الشواء في مواطن الشقاء
 فسيأتيك منا السلام كل صباح ومساءً

العمال في البلاد العثمانية

أخ جاء يدعوني الى نصر اخوة وهذا يراع سامع ومجيب
 فقلت له لا تسلم النفس للأسي اذا ساء عيش انه سيطيب
 وهذي الليالي لا يقر قرارها فمن لم يصبه الخير سوف يصيب
 لنا اكبد لا تخمد النار تحتها ولا هي من حر الهميب تذوب
 أظن لنا في ذمة الدهر طية وادراكها للآملين قريب
 قضى زعماء السوء فينا بما قضاوا لهم دوننا في الطيبات تصيب
 نخال جديدات الامور عجيبة وما تحت فسطاط السماء عجب

أيها الاخ العامل

ليك الفأ . هذا يمين الاخاء امده اليك . فان كنت خاطب
 ود فالود لك وان كنت شاكى ظلم فيراعي لسانك وياني ترجمانك
 وانا وحياتي دريئة لك من المخاوف . لعمرى لقد استنجدت بوادن
 القوي منعقد اللسان أسير العجز حليف الجهل . فاذا كان يغنيك
 شيء من هذه الخلات فبالصدق الذي لا ادخر سواه وبالفؤاد
 الذي لم تستأسره بغية وان عزت ولم يفزعه هول وان جل

ما كنت غافراً عما قضي فريد ولا جاهلاً ماذا اراد فريد .
انا عرف فريداً وهو يعرفني . يرفع رأسه ويمد من صوته ويضرب
الارض برجله في مجلس الامة ولكن اذا بداله زهير في جسمه
الناحل ووجهه المتقع أرتج عليه واضطرب المنبر تحت قدميه . قل
له ' ملكت فاسجح . لقدولى ثم تولى . فلا زمان الجاهلية اغناه
ولا زمان البعثة . وكم في زعمائنا من المخضرمين . ستزل من تحتهم
صهواتهم وتعثر في مضمارها جيادهم . ايه لك هذا الدهر ابو
العجائب . يفتن ثم يطغي ثم ينكي . ما ادراه بسنة التدرك . اكانه
ينظر الينا من تحتنا فيدعونا اليه

ادخل حجرة الوزير تلق بها الاواني المذهبة في نقوشها
وتصاويرها على الخوان البديع من شجر الجوز مطعماً بالفضة او
الصدف او العاج والى جانب ذينك من التحف والبدائع ما لا
يصوره الا بنان صانعه وهو مضطجع على سرير اقل مسمار فيه اعلى
من مالكة ثمناً وانفس قدرأه . جذلان ثمل بين ابهة الدولة وسكرة العز
وكبرياء الثروة . اذا مشى على ذلك البساط السندسي قلت فيل
يمشي على هشيم . يشير لك بيناه ويسراه الى تلك المذخورات
نفوراً منتفحاً لانه امتلكها بدراهم غلبت والحاجة على نفس صانعهما

فافتناها ولم يشأ ان يكون عند سواه نظير لها . هذا رجل قرأ على احد تلامذة شيخ الحارة وتخرج اما في جامع الفاتح او في احد اقسام الباب العالي . ثم تنقل من ثقيل اذيال الى ثقيل ايدي ان قبلت يمينه . فأين رأى هذا عاملاً . اما انه تنتظر عيناه ولا تريان

السري الذي يهدأ عليه جنباه اذا غشيه الكرى والكربي الذي يجلس فوقه ليتولى احكام الناس والمنظار الذهبي الذي يعض مارن انفه ويريه كل كلمة كالدارعة والملابس الحريرية التي تخفي عن الابصار حذبه وما خرج من ركبته كل يسره وكل يرضيه أما عامله فقد نال اجره وقضى الامر

هو يحسب ان العامل يدور كاللوب لا يجده تعب ولا يرضيه كد . ولو رآه في عمله متفصداً جيده عرقاً مشمراً عن ساعدين مفتولين عزمًا مهلاً فرحاً في حزنه شادياً في مناحة حظه لآخذه الروع ولخارت تلقاء ذلك المشهد المهيب قواه

ان بين الحيطان السود تحت سحب الدخان امام النار التي يذكيها الكير الزافر وتحت اعماق من الارض ذرعها ثلث مئة ذراع او اكثر لرجالاً شعت النواصي غير الوجوه نبا عن اجسادهم النعيم واجملت عنهم السعادة يخدمون بني الانسان كأن

لم يكونوا من بني الانسان . اذا جاء عيد سرهم منه قطعة لحم يأكلونها
مع اطفالهم وجرعة من خمر يشربونها معهم . تقام الافراح وتزين
البلدان ويزدلف الناس الى الناس تفرجاً وتنزهاً وهم في ظلماتهم
غارقون وقد ينفجر غاز فيتطايرون في اثناء لمبيهِ ويدهم سيل
فيغيبون في جائشات غواربه وليس لاهلهم من حام ولا لبنهم
من آو فيكفيهم حشرات الفراق ولوعات الهموم

مير الامير الجليل في عربته وهي كدارة الشمس تقودها
المطهات مسابقات الرياح فيلفت ابو الذهب وجهه عن اخيه
المسكين الفقير البائس المجد المجتهد . يرى اطماره الرثة ووجهه
الشاحب فيعاتب الله كيف خلق خلقاً مثل هؤلاء الناس ولو
انصف لبادر اليه من علياء مركبته واوسعهُ لثماً ونقبيلاً ولاخذه
وأركبه على يمينه فما يتلطف بأثم ولا بسائل بل بسيدهِ الذي
يطعمه ويكسوه ويسقيه ويقبه

ان فريداً ليس بنبي وقراره ليس شرعاً وكما ذهب المؤثر
يذهب الاثر . صنعة عبد الحميد لا يسلك الا صراط عبد الحميد
وكم في هذه الناشئة من ترى حب الوطن يستطيره . وحب بنيه
يتقد بين اضالعه ومن اراد ان يجور على العمال فليستغن عن العمال

ليقل هؤلاء الكبراء والاوسمة تشرق على صدورهم والاثواب
 المخملة تكاد تلتهب على اجسادهم . نجوم افق الدولة ودرر عقدها
 المنظوم : « اننا في غنية عن العمال واذا نزعنا عنا هذه الحلال الباهرة
 ملنا الى المعامل وشمرنا عن سواعدنا فصنعنا لانفسنا وايصنع العمال
 لانفسهم هنالك يعلم كل عمله ويقتصر كل على هواه . أما
 الكلام على الكراسي المصفوفة بين السجف المرفوعة فذاك تستطيره
 الليالي هباءً

يا نواب الامة . يسألكم خلاق الامة ماذا تريدون بالامة ؟
 هنيئاً لكم من الجاه والحسب والذكر ما نلتهم بلى هذه اللسن
 تزيدكم منها بقدر ما تطلبون . ولكن انظروا الى حاجة البلاد
 فانيلوها حاجتها ولا تذهبوا هذه القصور بالذهب الوهاج وتنطقوا
 بين حجراتها بما يخجلكم غداً

العمال ينتظرون ورجال القلم من اخوانهم ينتظرون . فاذا
 جرتم عن مهيع الرشاد قلنا وفعلوا وصحنا وفزعوا ونحن لكم ابقي
 وانتم في حاجة الينا

ان كان هذا يكفيك ايها الاخ العامل العثماني فالحمد لله على
 خدمتك وخدمة اخواني

الغلو في المدح - التذلل - الذي ينقصنا

اكثر من الذي عندنا

غازاني صديقي (نقاد) ولكن لا آخذهُ اللهُ بجزيرته . سبقي الى هذا الموضوع فأجاد وأفاد. ولو كان يدري ان اخاهُ زهيراً ورم انفه في اعداده لتخطاهُ الى غيره . على اني لست مكرراً ما سبقي اليه . فليطب قراء المقطم نفساً . بلى ربما جئتهم من تحاربي باشياء تعظمهم كما تفكهم

نحن الآن في عصر دستوري . والدستور رأسه التساوي وركنه الحرية . ومتى تساوى الاحرار بطلت عادة التراجع في الحقوق وبقيت عادة التراجع في الاعمال . هذه قضية لا تنقض . وكل من حاول ان يقيم الدليل على بطلان حكم بديهي لم يزد على ان يضحك الناس من عقله

اما عصر الاستبداد الذي دالت دولته فعصر لا يقاس بغيره . كان اعجوبة في كل شيء من اشياءه . خذ عقل احد السوقه وتدرج في مراتب العقول الى ان تنتهي الى عرش الملك فلن تجد فرقاً في

الادراك. وكثيراً ما فضل السوقة اخوانهم الملوك. وان رجلاً يشمخ
بانفه لمخمل يلبسه ساعتين ثم ينزعه ليبقى في صندوقه طول ايام سنته
لمرزاة في عقله مظلوم من الطبيعة في حصته من الادراك. واذا كان
فضل المرء بلبوسه فان في الحيوانات والطيور ما لا يسمو الى جماله
ملك من الملوك. اي قائد من قواد الجيوش في ثيابه الذهبية وسيفه
المرصع ووساماته المتلألئة يضارع الديك الهندي في جمال عرفه
وبهاء ريشه واختياله في متيته بل اية ما كية تشبه الطاووس الأ
اذا شبهها به المتشبه في بعض اشعاره ؟

وبعد فلا حجة لاهل القدم على اهل الجدة في طلب التمسك
بالعادات والنحل اذا كانت تلك العادات والنحل مثالب لاهلها

كانت جرائد الاستانة اذا مدحت « سلطان البرين و خاقان
البحرين » قالت : تنبت الارض ببركتيه وتمطر السماء بجوده .
وقالت احدي الجرائد سامحها الله : إنه المقصود بخطاب لولاك لولاك
لما خلقت الافلاك . وكانت تشبه عربته بالفلك . وما زاده ذلك
الأ غروراً وما زادنا إلا وياً . ولقد بلغ الغلو بالقوم ان صاروا
يكتبون ما لا معنى له . حتى سألتني احد فضلاء الفرنسيين ان
اترجم له جملة منها ليكتبها في مؤلف له فلم استطع

وكذلك اعتماد الناس التذلل . فاذا قال احدهم لكبير من
الكبراء جئتك او زرتك عد ذلك من الذنوب التي لا يتناولها
العفوان وانما ينبغي ان يقول جئت لامرغ وجهي على تراب
قدميك . ويقول بعضهم لبعض . كانت جاريتك امرأتى وقال
عبدك ابي وجاء مملوكك ولدي . ومثل هذا كثير لم يخطر على بال
القائمين « بتصفية اللسان العثماني » ان يزيلوه من اللسان والى هذا
اشار ابو الادباء الاتراك ونخرهم المرحوم نامق كمال بك الشهير في
قصيدة له فقال :

خاك يوز سورمكه قائمه يراوسانده حيات

اختيار ايت التني خاك حياتك رغنمه

ومعناه اذا كنت الحياة قائمة على الارض بتمرغ الوجه على
التراب فاختر ان نقيم تحت التراب وأنف الحياة راغم . ولكن نامق
كمال كان عندليب ربيع مضى ومضى هو معه وقد اطرقتنا اقواله
ولكننا قصرنا في اتباع رأيه

فاذا قيل لهؤلاء المتمسكين بالعادات السخيفة . ما يعجبكم من

هذه الاباطيل . قالوا هذه عادتنا القديمة لا يجمل بنا النزوع عنها .
والامم الغربية وهي سابقتنا الى الحضارة لا تزال محتفظة على قديمها

فكيف نغير نحن ما عاش عليه الاجداد وماتوا؟ وقد فاتهم ان الخطأ لا يقاس عليه. وان من حقنا ان نقلد اهل الغرب في الحسن دون القبيح. ولقد كن العرب في الجاهلية يبدون بناتهم انفة ولكن هذه العادة ابضاها الاسلام. ولا يليق بنا ان نجعل العصور كما يوافق عادتنا فذلك ما لا نستطيعه والاقرب ان نجعل العادات كما يوافق العصر

وقد رأيت في جرائد الاستانة اشياء - وددت لو تنزهت عنها .
 فهي لا تزال تعني السلطان الدستوري غناء السلطان المستبد .
 ونقول ان اوراق كذا واللائحة الفلاية عرضت على الاعتاب .
 وساطننا الدستوري لا يرضى بذلك . فان عدَّ هذا ثناءً فليس هذا
 بثناء على شخص السلطان بل على اعتابه . ونحن ممن يحبون السلطان
 ولا شأن لنا مع اعتابه ولا نعرفها الا اذا قضى الله لنا ان نراه
 فنتخطاها كما يتخطاها الناس . وأوراق الدولة العثمانية لا تعرض على
 اعتاب السلطان بل تسلم الى يده الشريفة مع التعظيم

الحمد لله كثيراً . لنا مجلس امة ولنا دستور ناوي الى عدله ولنا
 جرائد تكتب ببعض الحرية ولكن ينقصنا كثير . ينقصنا علم لا
 تغلب عليه صور الاشياء دون حقائقها وأناس يقولون الحق ولا

يخافون عليه عقاباً و يقصنا انصاف يدعنا نرضى بالحق وان صغر
 مصدره و نأبى الباطل وان عظم مورده و ينقصنا صبر من عنده
 ضمير حر على ان يرى قادة الافكار يتكلمون بكلام الصبيان و ينقصنا
 اقلام من الفولاذ و أنامل لا تكل و نفوس لا تمل لنحارب الجهل حتى
 تجليه عن موطن العلم

فلن يسر العثماني ان يقول فيه الغرييون ما يقولون في الامم
 المتوحشة وان تجعله الولايات المتحدة بمنزلة الاسيويين من سكان
 الجبال و أهل الوبر و دون الزوج . وقد كنت اريد ان ارسل للقلم
 عنانه و أزيد اشياء ولكن سبقني اليها صديقي «نقاد» و من جعله الله
 بين اهل الفضل الذين تأتيهم شياطينهم بمخبات الضمائر بقي له من
 شوارد المعاني ما لم يرضه السابقون

جراغان في امسها وفي يومها

اسجن مراد لو تكلم منزل لأخبرتنا عما جرى لمراد
 ثلاثون عاماً قد تواته عانياً بربعك في بث وطول سهاد
 يطالع من خلف الستائر ملكه يخاطبه شوقاً له وينادي
 بلادي بلادي ان يحل بيننا النوى فعندك روجي دائماً وفوآدي
 لقد مات مجنياً عليه وما جنى ولكن لاحرار الملوك اعاد

بعد ايام مراد وقد مضت في لوعاته وشجونهِ . بين الستائر
 المسدولة والكمى المغلقة والجنود المحاصرة والارصاد الذاكية وتحت
 خطوب يلديز الفادحة تُتجلى (جراغان) في شبابها الرريض وحسنها
 الاينق لأعين ثلاثين مليوناً من عباد الله . وهي انما تُتجلى سافرة غير
 محجبة مباحة غير ممنوعة مفتحة الابواب آهانة الكواكب يقصدها
 الامير وغير الامير يقف تحت سقفيها المرفوع صاحب التاج وصاحب
 الشملة المرفوعة وجهاً لوجه ان لم يقفا جنباً لجنب

الجدران التي سمعت تأوه السلطان المظلوم ثلاثين سنة
 ورأت جسمه يذوب كل يوم كما يذوب الجليد تسمع اليوم خطبا

الامة على منبر النياية وترى السلطان الدستوري في اقبال دولته
وأيام نعمته

رب متكأ كان يغيب فيه مرفق الملك الاسير وبين يديه
ابناؤه وبناته كنجوم الافق في ظلمات الليالي يترأحون امامه
مكتئين يسألونه عن الشمس كيف لونها وكيف ضحاها وعن الرياض
وما يتخلون من شجرها وزهرها وحياضها وجداولها وبلابلها
وأغاريدها وطلما وغيثها وحصباءها وزرعها وهو يجيب بنمه وببكي
بنفواده . ورب مكتبة عليها دواة جف حبرها ولا ورق فيلا
ولا قلم فيكتب كان اسير الظلم يجلس امامها ويؤتى بالنعصون اليابسة
فيبرها بسكين الطعام فيكتب بحبر يصطنعه هو على قطع من الخشب
او الخرق ما يعلم به بنيه الكتابة والقراءة . لا اثر اليوم من تلك
الشهود الصامته بدلت منها جراغان غيرها وباتت ميبت العروس
ليلة زفافها

الآن يستضحكون جراغان وتربد هي ان تضحك ولكنها لا
تعرف غير البكاء . فقد تعودته ثلاثين حجة . اليوم يقيمون الافراح
بين تلك الحجرات وتود الحجرات ان تفرح لفرح الامة الا انها لا
تدري كيف تفرح فقد استطابت الحزن فلا تقدر الا على الحزن

اما لو قسم الله لي ان ازورك ايها القصر لوجت امام بابك
خشوعاً فان الذي قضى بين احنائك ملك شهيد فاذا لم تأخذني
هيبة الملك غلبنى موقف الشهادة

اهلاً بنواب الامة . احق مكان بكم هذا المكان . فان كانت
الارواح كما يقولون خالدة فكم من روح ترف على رؤوسكم . مراد
ومصطفى فاضل ومدحت وكمال وغير هؤلاء من ضيوف الآخرة
بينكم اليوم يسمعون ويعون . بكوا العام الماضي وذاقوا من الحزن ما
لا تحس به إلا الارواح . فهل انتم مانحوهم عامكم هذا ما منحموهم
عامكم الزائل . ام انتم قائمون فقائلون : اوفدنا اخواننا للنحبي
اخواننا . فلا نريد إلا ما ينفعهم ولا نرضى بغير ما يرضيهم

هل ايقتم اليوم ان جدالكم في الساعة الشرقية والغربية
والسنة الشمسية والقمرية اضحك منكم الناس ام تودون ان تتجادلوا
بعد ذا في الملابس والماآكل والمشارب وكيف ينبغي ان يمشي الرجل
وكيف يليق بالمرء ان ينام في بيته

ايها الرئيس المنتخب ارجو ان لا تحمرّ وجوه منتخبيك . فقد
حلبت الدغر اشطره و عشت يبلاد التمدين ورتعت في مسارحها
جاذاً مجتهداً حرّاً ومنتصراً للعربية . ولقد وضعت الحرب اوزارها.

وأفضى اليك شيعتك بجاجاتهم . ثم انت تعرف موضع آمالهم . فكن
كيف شئت ولكن خصلة واحدة يحاسبك عليها الشعب : ان تقول
خلاف ما تعلم

لست نائباً والحمد لله وان اكون باذن الله ولكني كاتب امة
لها الوف غيري كلهم خير مني فما انا مرشد ولا معلم . بل انا منبه
ورقيب . ورقيب في عهد الحرية غير رقيب في عهد الاستبداد .
اذا بدالي ما يسوء ابناء وطني فلا ودولا جاه ولا مال يمانع لي قلماً
ان يصر صريره . وما ينقش على الورق ينقش على لوح الابد .
ذاك هو اللوح المحفوظ . فمن كان يتقي ما تُور القول فليسلك طريقة
الحق ومن قال : لا ابالي بما يكتب الكاتبون فقد استراح حيث
تعب الكرام

رأينا اناساً في العهد السالف كانوا اولي الكلمة المسموعة
والاشارة المطاعة ثم رأيناهم في العهد الحاضر اولي المقام المرفوع
والجاناب المحمي . ولا بأس في ذلك . اولئك المخضرمون وقد كان
مشاهم مخضرمون غير اننا لا نعفوا عن هفوة ترددي الامة وتبيل عماد
الملك . والعدل والعفو لا يتفقان . فمن عثر جاهلاً اقال الله
عثرته . ومن وقع متوقفاً اسف الله فمه التراب

انزلوا هذه المطايا الخشبية فبكم زل عنها غلام خفٌ وشيخ
موقر . واطلقوا اقلام كتابكم فقد طال عليها عهد الحبس . وقولوا
للناس سيروا في مناكبها وكلوا من رزقها لسنا عليكم بمسيطرين .
ودعوا صدور المكربين تُتنفس عن بثها . فان خفتهم ان يسوءكم بيانها
فان كتابها عليكم لاسوأ . القلوب تحس وتريد والعيون تنظر وترى
والعقول ندرك وتعي وكل يوم مثل سالفه يتقاب ويتغير فمن جعلكم
على هذه المقاعد قادران يجعل عليها غيركم ولئن استطعتم ان
تسكتوا من عندكم فلن تسكتوا من ليس عندكم . وما يكتب يقرأ
وما يقرأ يفهم وما يفهم يرضي اذا كان حقاً وبغضب اذا كان
باطلاً . ولا يخفف حسرات جرائع ما لبسته جرائع من ثوب جديد
سلامٌ عليكم هذه تحية الآبين من بين اهلهم وعشيرتهم
ليفضوا الى الحكومة بحاجات الامة . وحين يتقادم العيد ويطول
المقام نكون عليكم اشد جراًة وأنفذ مقالا واقوى حجة واكثر
ناصرأ وامضى عزيمة واصدق شهودأ

خليج البسفور في احدى ليالي الشتاء

في ليلة ليس بها كواكبُ كنا مشرقها مغربُ
 يسي سواداً كل ما بينها فنوقها وتحتها غيب
 لا يدرك الفكر بها مطلباً فكل ما يطلبه يهرب
 جاؤوا بمظلوم الى ظالم قالوا له هذا هو المذنب
 بكى وفي الدار بكوا مثله فكل من في داره ينحب
 وقد رأينا حوله صبية تندب حين امهم تندب
 قال اجعلوه مثل اترابه من كان من مذهبه يذهب

وا قبل الصبح على ايم وصبية ليس لديهم اب
 يا بحر لو تنطق اخبرتنا ما قال من غيبت اذ غيبوا
 الظلم له يد وليس له فؤاد يعمد خنجراً من خناجره في
 قلب من قلوب الناس فلا يستشعر لذلك الماء القاتل مضرجاً
 بدمه لديه كالحي مضمخاً بطيه ظلمات الليالي وظلمات البحار
 وظلمات القبور كل تستسر في اثناءها بدور مطالعها الشباب

ومنازلها الآمال . واذا كان لاهل الويل تراث فاللواعج التي تذكىها
الذكر والحشرات التي تستديها الصروف . اجسام ما زهور
الرياض ولا نيرات الافاق ولا عقيان القلائد ولا جواهر التيجان
باحسن منها منظرأ . تربي متنقلة في الدلال من حنو مرضعة الى
غناء مربية الى ابتسامة ام الى مواصلة حبيب كل ذلك لمصرع
لحظة يتلوها الفناء . ما اضيع الامل وما اعدى القضاء .

في ليلة من ليالي التتاء سكنت تحتها الاشياء وتحركت الضمائر
سوداء الجلباب بيضاء الصقيع . طرقت باب المظلوم فاطل عليهم . قال :
— من الطارق المنتاب ؟ قالوا

— اجب . شفيق يدعوك

فقام إلى ثيابه فلبسها ومال الى اهله فودعهم وتوسط رسل
البين وزبانية جهنم فاركبه عربة سارت حتى وقفت بهم امام
باب كبير . فمشى الرسل ومشى بينهم المظلوم فادخل به على من
وجه في طلبه . فتقدم خطوات وسلم تسليم غير المشتاق ووقف
ينتظر الجواب . هذا الموقف مهيع من الحياة الى الموت . تعلق كل
ثانية من ثوانيه نافع لمن ناله . رحمة الله على ابي تمام اذ يقول :

ها ان هذا موقف الجازع اقوى وسور الزمن الفاجع

الطالب والمطلوب متواجهان . خصمان هذا سيفه سلطان
وذاك درعه اساه . فلما استظال السكوت واستبضأ الشر أسيره رفع
شفيق رأسه ونظر الى غريمه نظرة ملؤها الختل ثم قال :

— الآن يذهبون بك الى (القصر) ولا ادري عم يسألونك
هنالك . فكن رابط الجأش واحسن الجواب تاق خيراً

• ثم امر شفيق اثنين من الشرطة ان يركبا المظلوم عربة وان
يمضيا معه ففعلا . فلما اوفوا على الشاطىء أنزوا زورقاً فيه اناس
بانظارهم . فأركبوا الزورق وانطلق حتى رسا بهم الى جانب
سفينة كبيرة فصعدوا اليها . وجاءوا للمظلوم بكرسي فجلس عليه
وناولوه سيكارة جعل يصعد دخانها وهو صامت . ثم اقبل من البر
زورق آخر فصعد منه جماعة منهم محمد علي رئيس الهيئة التحقيقية
اذ ذاك . فدنا من المظلوم وقال له :

— الآن صدرت الارادة السلطانية بالقائك في البوسفور .
بذا قضى الله ولا مرداً لتضائيه . فان كانت لك وصاة توصي بها
من بعدك فهاتها . وان كانت نفسك تشتهي شيئاً مما يوكل او
يتسرب فاقترح

قال — لا اريد شيئاً . وانسابت من مقلتي الرجل شايب

خضلت لحيته والناظرون اليه لا يبكون . هم يعجبون ان يجزع اللاس
لفراق الدنيا . شهدوا . صارع كثير . من الخلائق وشهدوا جزعهم
عند الموت . فاستضحكهم ذلك وقالوا : ما لهؤلاء يخافون ما لا
بد منه . وما تعجيله الا تعجيل امر لا ريب فيه . يا حكماء الموت هذا
عجب الخلي من حال الشجي ولعل لكم في ذمة الدهر مراقف مثل
التي انتم لها شاهدون . سكت المظلوم سكتة غلبه عليها فؤاده .
وفي ثبات الافق كواكب تنظر ولا تسعف . والريح بايلة الجناح
واليم جأش الغوارب والبران في بيوتها المنيرة شاهدان ولكن لا
ينطقان . الشعراء يكون باياتهم والمظلوم ينشد دموعه . اي قعيدة
الشجون هذا الفراق

فرجي الخير وانتظري اياي اذا ما القارظ المنزى آبا
لما جاءوا بالسلاسل فامروها على عنق المسكين واثقلوا رجليه
بقطع الحديد واهووا به الى الماء فغاب في عبابه عرف هوان الحياة
وكيف تجني الوالدات على بن ولدن والى اية غاية يكون المصير
قالت جرائد الاستانة الصادرة في . .

عثر رجال الشرطة على جسد رجل بشاطيء البحر قد تشوه
وجبه وتمزقت ملابسه وعضاؤه فلم يمكن ان يعرفوا من هو ولكنهم

رأوا في ملابسه خاتمه المنقوش عليه اسمه فاذا هو اللواء وظهر
 ان بعض اعدائه الخائنين انفردوا به يوماً فاغرقوه . وقد صدرت
 الارادة السلطانية بالجد في طلب الجانين الذين اعتدوا على مثل
 هذا الفقيد الغالي !!! ووعد من يعثر عليه ان يعطى جائزة سنوية
 ويزاد راتبه وترفع رتبته

بين نوحات النأحات وبكاء الثاكلات سكوت يأتي به
 الاعياء ونقطع الانفاس . ذلك من الفواصل التي ينوب فيها القلب
 عن العين فتسكت الظواهر وتبكي السرائر . وقد وقع مثل هذا
 في بيت الفقيد الغالي !! جاء رجل من القصر يحمل عطية . كلم
 الاميم من وراء ستارها فقال :

-- امير المؤمنين في حزن عظيم على المرحوم !!! فقد كان
 يحبه كثيراً : !!! وهو يقول اذا ذهب حاميك فانا حاميكم .
 وهذه هديته اليكم

فانطلقت الالسن بالدعاء من قلوب لا يشوبها الرياء . . .
 كانوا يخدعون الناس فيسرقون منهم الدعوات ويريدون ان
 يخدعوك يارب ليخلصوا منك الرحمة والرضوان

ماذا قال وماذا قالوا

(ولولا والِ عثماني ما خططتها)

استخدم القلم ثم مله . وافترقا بعد ذلك غير آسفين التي القلم
وجازب المهاير وطوى الصحف وحاول مطلباً فقال . فلا سمء فروق
اذا صحت ولا ماء الخليج اذا سكن ولا بنات ورق اذا دعت هديلاً
ولا الازاهر اذا تنفست عن اريجها . لا يبعث وجده ولا يجدد
صبوته شيء من تلك الاشياء . ما الكذب ما ترجع به الابصار .
الخلق لا يتطرقه تغير والحقائق ثابتة وليلى في يومها كليلي في امسها
وانما تنغير مواقع البصر بتغير الحالات

مالك ! . . . إن اختلفت وجهتك ومات عن قصدك
تبدلت في نظرك الاشياء ! ! ! الهضاب شي تلك الهضاب يكسوها
اخضر النبات . بصوب عليها العارض المتهلل فنتفتح ثغور اقاحيها
وتبهتل افواه شقائقها ثم بغدو عليها قيظ فاذا ما فوقها هشيم يابس
ذوت ازهاره وعاد اخضراره اصفراً . اذا انقطع عنك الوحي
في ليل الهواجس وجف مكانك ملائكة الفكر بما كانت تأتي به

من انوار المعاني استطبت انت ذلك التحول ونقول انك لست
 بانحول هات الدليل . لعل لنا فيه مقنعاً

اهلاً بسيدي الوالي في موكبه الحافل وأعلامه الخافقة
 وقدره العالي وفضله المأثور

زعموا انك مررت بهذه الديار فجست خلال ربوعها الآهله
 وكانت لك غدوات وروحاحات في مسارحها ومراودها فعبت عليها
 حسنها ولا غرو . ابن الرومي الشاعر ذم قبلك الورد . وكرحت ان
 ترى تماثيلها وقلت : (انها ظلال الحرص على الممالك) ولا بأس
 فاكثر القدماء يقولون مثل مقالك . جعلك الله في حل مما قلت . ولعل
 مولاي ممن يؤثرون البدو على اهل الحضرة ويقولون ما قال شيخ المعرة :
 والحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشعر او بيت من الشعر
 وقد اتانا انك نزلت هنا بقوم افضت اليهم بحديث لم يأمرك
 به أمر . هو رأي رأيت . قلته لرجل اخترته فروي عنك ذلك
 الحديث بسنده المتصل . فاستفز جماعة جبلوا على مضغ الكلام .
 وهنا الرجال والنساء يعضفون المصطكاء . وقد ذكرت صحيفة من
 صحفهم خطاباً انفذوه اليك وجاوبتهم عليه . وقرأت انا ذينك
 الكتابين وقرأهما غيري

اذا صدق ظني فالكتاب مصطنع . انت اجل من ان تقول
مثل هذا الكلام . نعم سبقت لك شطحات كنت اقرأها
وأضحك . اما مثل خطابك فلا اخالك ترضاه لنفسك

قال قائلهم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم . قلت
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهل هذا منطلق الطير الذي علمه
الله . ان هذا الاافك ميين

اذا كنت تركت « تصوير الافكار » فما تركت الافكار
والقوم لا بأس بما فيهم من طول ومن قصر غير ان في الناس
غيرهم يقرأون ما تكتب . فماذا تراهم يقولون ؟ انت الان في غرفتك
امامك اوراق مما بقي من العهد القديم . فيها من العجائب والغرائب
ما يستضحكك طوراً ويستبكيك طوراً ولا يأتيك نبأ ما يقول الناس
لبعد الشقة واخلال البريد . ولكن نحن نسمع والاغرب اننا
نفهم . آه يا ليتنا لا نفهم . اذن لاسترحنا واستراح كثير معنا

يزعمون انك تبغض الانكليز . ابغضهم ما شئت واحببهم ما
شئت . اسنا على فؤادك مسيطرين . ولكن الوالي العثماني يجب
من تحب دولته ودولتك تحب الانكليز والانكليز يحبونها
يزعمون انك تقول ان الهند ومصر شريكتان في الشقاء وانها

يتلملان من ظلم الانكليز . ولكنك تعرف ان في الظلم ضرباً لا
يجارينا اليها الانكليز وان القوم نزلوا بمصر وعيوننا تراهم وان فضلهم
على هذا القطر اعظم من فتح الشوارع واقامة التماثيل وان لهم عندنا
معشر العثمانيين لجميلاً لا ينساه من في فؤاده مثقال ذرة من المروءة .
وربما كان في ابناء التأمير افراد لا يحبون العثمانيين فليكن في العثمانيين
اناس يغيضون ابناء التأمير . غير ان والي البصرة يجب ان لا يكون
الآ و فياً عارفاً بمرامي الكلام .

سيدي لورأيتك على كرسي الحكم بين جنديك وحشمك لقات
ما شاء الله ولعودتك من عيون الحاسدين . غير انك حين تبدي
من التواضع ما ليس من حقهك يرن في اذنيك نداءً يستفزك فوق
مقعدك الوثير فتسمع هاتفاً يقول ان العصا قرعت لذي الحلم
رأيتك آسفاً لما فانك من زيارة قبر انت تجله فتذكرت

قول الشاعر

(فقال) اتبكي كل قبر اتيته اتبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا بيعث الشجا فدعني فهذا كله قبر مالك
وكم من ملحودة زلج جوانبها قمر بلي رميمها ولم تبق حتى صفائحها
وجنادلها . فرب شهيد حرية وسد في التراب قف بجيث تشاء

وسلم . على تلك الارمام يكن رجوع صدك جوابها . فلا تحملن عرى
عزما تـك صـيحات لا تلبث ان تضيع . اعوذ بالله ان تحسب الشحم
ورمًا وان تكون على غير ما ترضى به امتك

هذا خطابي وأنا لا اصدق ما يعزى اليك ولا يصدقهُ غيري
من عقلاء هذه الامة . فانظر ما انت مختار لنفسك . ولان صح ولن
يصح ما زعموا . فان لي صوتًا يدركك في منعرجات الاحقاف وبين
عاليات القصور . وأقول يومئذ :

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لم يظلم الناس يظلم
عفا الله عني ذنب هذه السطور ولولا وال عثمانى ما خططتها .
كلمات انتقيتها من بين اخواتها لاجعلها قلائد منظومة تغني بها
العذارى في خدورهن . ولكن يضطر الحر ان يستهين بغوالي
مذخوراته صوتًا لمجد وطنه

الاسراف الاسراف

امس ارهفت الشفار وثمر الجازرون عن سواعدهم وحيء
 بالاضاحي التي اسمنها مقتوها وطلوا فراءها بالحناء وبالورس وفيها
 من موهوا بالذهب قرونها ودهنوا بالزعفران آذانها . فاكب اهل
 الصناعة على صناعتهم فمن مكبر ذابح ومن نافخ ضارب ومن سالخ
 جاذب ومن مقطوع ناصب وعلى ابواب البيوت الاقيال وأبناء
 الاقيال من الساسانيين وقوقاً صفوقاً او جثماً قعوداً يراقبون من
 كل باب مصراعه و كأن البدر سيطلع عليهم في موكبه السماوي او
 كأن سينجاب غشاء الابصار فتبدوا من ورائه القسم
 بت يوم الاربعاء بليل بطلى الكواكب ناصب الهم مسدود
 مسالك النساء مقلتل مواضع النجوم وكان الهلال يكاد ينطفيء اذا
 نفخه نافخ وكان الثريا يكاد ينقطع مناطها اذا مد اليها كفها متناول
 فقلت في نفسي ياله من ليل ادعو الكرى فلا يجيبني الكرى وأغمض
 عيني كرهاً ففتفتحان كرهاً . خفتت الاصوات وسكنت الحركات
 وهدأت الجوانح ولانت المضاجع . اما لولا ان تولت غضارة الشباب
 وبطل سحر الجفون لقلت اني عاشق . فلما طال ما بي حتى امضني

جلست الى كوة لي تطل على ميدان عابدين وجعلت اتخيل اشباح
المارة في اثناء الظلام

قلت: يا رب ما هذا الذي نحن فيه؟ اكثر السادة والسيدات
مجتمعون الآن بقرافة الامام وباب الوزير وزين العابدين والعفيفي
والمجاورين وغيرها . محتشدون حول مقابر علت مبانيها وحسنت
(تراكيها) . عاليها انواع الثريات تبهر الانظار . منشور فوقها الريحان
والخوص . يفرقون التمر وغيره من الفواكه (والشريك) على
الفقراء . يتباكون ويتضاحكون . بين ايديهم الخدم يطوفون عليهم
بما لذ وطاب من طعام وقهوة وعندهم المترنمون من الحفاظ يرتلون
سورة يوسف حتى مطلع الفجر . هذا دايبهم في عيد الفطر وفي عيد
الاضاحي كل عام . ثم يأتي الصباح فتجري دماء الاغنام كالانهار
لا ادري حكم الاضاحي فيما يرجع الى الدين فلا تعرض له
بشيء مجانية للشطط . ولكن ما هذا الاسراف ؟ لنا ثأر عند الغنم
فتثأر ام الغنم كثيرة فتريد ان نقل ؟ ما روى لنا احد المؤرخين ان
جد الغنم نطح ابانا آدم فجعل عداءنا محمولاً على هذا السبب
اذا قلنا ان مليونين من الاثني عشر مليوناً من اهل هذا القطر
يذبح كل واحد منهم كبشاً ثمنه جنيهه كان مجموع ما ينفق على

الاضاحي مليوني جنيهه كل عام اي عشرين مليوناً كل عشرة اعوام
وأربعين مليوناً كل عشرين عاماً . فاذا رضينا ان نحسب ما ينفق
على القرافات مليونين ايضاً تضاعف مقدار ما ينفق فكان ثمانين
مليوناً كل عشرين عاماً . هذا مبلغ لو يجاد به في زينة البلد لبات
اعمدة مصايح الغاز التي في طرقاتها من الفضة ولو بذل في تعليم الابناء
اصاروا كالانبياء ولو بذر في الارض انبتت السنابل ذهباً ولو انفق
على الفقراء لاصبح السائلون يشترون ملابسهم من ربو ويفطرون على
الشكولاتة ولا يتغذون إلا بالسنة البلابل مطبوخة في جفان من البلاتين
شاعر مصر حافظ ابراهيم لا يكسب كل شهر عشرة جنيهات
وشاعر آخر ثانيه حاول الانتحار ولكن لم يجد سلاحاً يعجبه وكثير
من الفضلاء يعيشون على الهواء وليس لهم في ثمانين مليوناً من
الجنيهات نصيب

اما كان يرضى حافظ بأن يكون له مثل الراتب الذي يتقاضاه
قائد جيش فيقول مفتخراً
اجل هذه اعلامه ومواكبه هنيئاً لهم فانسحب الذيل ساحبه
ام كان يأبي الشاعر الآخر ان ينال كل شهر ما ينال مدير
عام فيتمثل بقول ابن عمه في الغابرين

ان كنت عبداً فنفسى حرة كرمًا . او اسود اللون انى ابيض الخلق
وبينا انا افكر في مثل هذه الامور اذا بدوي المدافع من القلعة
يؤذن بجلول العيد السعيد . قلت كل عام والناس بخير . وتسابق
بعد ذلك العامة الى الطرقات هذا يحمل نخذ كبش يهرول بها الى
بيته . وذلك تحت ابطه جراب فيه ما جمع من القرافة واناس لبسوا
ثيابهم الجديدة وعوجوا طرايبشهم وبأيديهم العصي المثقفة يلوحون
بها يمنة ويسرة . فاذا تلاقى صديقان بادر كل الى صاحبه يعانقه
وكانه يصارعه . واقدسقط الطربوش من رأس احد الناس وكان فرغ
من معانقة صاحب له فالتقطه وجعل يمسحه بمنديله . فلما ولى ذلك قال
صاحب الطربوش لرجل بجانبه : الله يطين عيشته طين لي طربوشي
وما لبثت ان رأيت العربات والسيارات رائحة غادية فيها
السراة وأبناء السراة في ثيابهم المخملة وعلى صدورهم الاوسمة ورجال
الشرطة واقفون في وسط الطريق يحيمون من يعرفون ومن لا
يعرفون . فجعلت اتصفح وجوه القوم فاذا هي ضاحكة مستبشرة
يتعالاها الوقار وبدو على صفحاتها السرور . قلت ذبحت الاضاحي
وقسمت لحومها على متنازعيها ومتجاذبيها وظلم بنو آدم في يوم فرحهم
مليونى روح في قطر واحد فما ظنك بغيره .

الاسترقاق في ايام الحرية

لو يعلم المهدي ما يكونُ
من بعدهِ ذخرهُ الثمينُ
لبات حرصاً بهِ ضنيناً
وذو الغوالي بها ضنين
يظللُ يهفو بهِ حنينٌ
اذا شجا ربهُ حنين
بصر في ميله صريراً
كأنه تحتَهُ انين
يا حبذا الوجه حين يبدو
من فوقه ذلك الجبين
حسن تشك العقول فيه
وينتهي عندهُ اليقين



لما تحلى بها صباها
واقيلت تشني دلالاً
وجاوت عينها العيون
كما اثنت قبلها الغصون
اطاعها الحب في البرايا
فكيف كانت لم يكون
تجاوزت دونها الاماني
واوقفت عندها الظنون
امست وعشاقها ملوك
اضحت واخوانها قيون
فوجهها للعلي وفي
وقلبها للهوى خوون
وجسمها في الوري عزيز
وقدرها في الوري مهين

وكم قصور بها حسان احب منها لها السجون
ملت سهول الحياة رغباً وأعجبتها بها الحزون



في اوج تلك السماء شمسٌ تفضي لاشراقها الجفون
لم يستقر الفؤاد منها يبسا خفوق اذا سكون
وما خلا من جوى فاما مضت شجون اتت شجون
استسلمت للزمان طوعاً اذا قسا صرفه تلين
تشتاق في عزها ذويها وحصنها دونهم حصين
حتام هذي القيود تبقى يا رب قد كلت المتون

كلما اومض بأفق الغرب بارق هاج منا شجوناً . وكلما سرت
من نحوه نسمة اذكت في افئدتنا غراماً . يا رب . ما تلك المحاسن
التي يرنو الخليم اليها صباة ؟ كل النفوس لها نوازع . كل الآمال
عليها عواكف ناديا فنستألفتها ثم نبتهل فتستعطفها ثم ندعوها
فنستجلبها . فاذا امكنتنا من نواصيها وسلس بأيدينا قيادها اذلنا
مصوناتنا وشوهنا محاسنها ومسختها مستحاً

بالامس كنا نادى . يا حرية يا حرية . يا فتنة الشعوب
وعدوة المستبدين ومرتع الآمال ومسرح النفوس وشفاء الصدور

وحياة المالك . فلما استجابت دعاءنا واقبلت برضاها علينا تجاذبنا
غداؤها وتنزعنا حليها ووصلنا القيود التي فككتها عن سواعدنا لنشد
بها سواعدها

قرأت في طين خبراً ما وددت ان اقرأه ولي ما تسرق عليه
الشمس . فليستمع عبدة الحرية وليبكوا كما بكيت وما بكت عيني
قدمي في الحوادث غال . ولكن بكى فؤادي ودمعته متواصل
الجريان :

بالاناطولي قضاء: اسمه «دوزجه» به رجل يدعى الحاج اسحق !!
كان في دولة الاستبداد موظفًا في ادارة الخراج بذاك القضاء .
وكان لهذا الرجل جارية اسمها ملك انفدها رشوة الى بعض الاكابر
بالاستانة . فلما اعلن الدستور رجعت الى بلدها . فطلبها اسحق
ورفع امرها الى المحكمة الشرعية هناك فقضت له بأخذ الجارية ولم
يجد دفاعها عن نفسها فتبلاً . وحين اعيتهما الحيل فرت محتفية
تريد الاستانة لترفع بها ظلامتها الى الحكومة . فأرسلت حكومة
«دوزجه» رسالة برقية في طلبها فقبضوا عليها في «أطه بازار» واسترجعوها
صاغرة الى من ينازعها حررتها . وقد غلب الخوف اختها حتى
قضت فزعاً

بعثت هذه المظلومة كتاباً الى طنين استنجدها به على ظالمها
ودافعت طنين عن الحق دفاع الابطال

هذه القصة اذ كرتي اخري مثلها . جرت في نحو سنة ١٩٠٥
بسيواس قبل اعلان الحرية وأنا اذ ذلك . نفي بها . وذلك ان رجلاً
اسمه الحاج مقصود هو من قرية من قرى العزيزية يقال لها «جاموري»
كان ذهب الى حلب في جماعة من رجاله فاختطف من احدى
القبائل صبية تدعى فضة . ثم جاء بها الى بلده واقامت معه بضع
سنين حتى اذا صارت شابة حملت منه كرهاً وما زالت تترقب
الفرص الى ان سنحت لها . فشكت ما بها الى رجل من قريتها اسمه
غنيمت ففرَّ بها ليلاً حتى دخل بها سيواس . فلما كان الصباح
قصدت الى لوالي وهو الشهير الهام رشيد عاكف باشا احد اعضاء
مجلس الاعيان الآن ونحل الرجل الشاعر الحر عاكف باشا الشهير .
فامر بجعلها في داري وأخذت المحكمة تنظر في امرها . والحاج
مقصود اودع السجن ولكن بقي اعوانه يسعون في الارض فساداً .
فاستمالوا القاضي اليهم واغتالوا الذي فرَّ بها فقتلوه ليلاً وهو راجع
الى القرية وامر القاضي بارجاع المرأة الى الحاج مقصود ولكنني لم
افعل . ثم جهزها الوالي واعادها الى اهلها بعد ان وضعت بنتاً حرمتم

محبة الاب وهي في بطن امها

اما بعد فالشكايات جمّة ولكن من يسمعها والجراحات دامية
واين من يأسوها . ابتلانا الله باناس لا يفقهون قولاً ولا يرتضون
بنصح . فهم الحوائل بيننا وبين كل سوؤدد وهم الموانع دون كل
مكرمة . نسئهم مسامحة اخواناً وانهم لاخوان السوء واعداء الوطن .
اذا اشتدت بهم شهواتهم زانت ابصارهم وعمرت نفوسهم ووقفت
الاهواء بينهم وبين الاحلام

لست ادري ما يبتغي الرجل من فتاة يتاعها بدراهمه
ليشركها في حياته ويقاسمها افراحه واحزانه كما يقاسمها نعمه
وامواله . اما فوادها فموصد بابه في وجه محبته واما نفسها فخائمة على
غير وده . لا يقدران يستخلصها لهواه ولا يدعها تختار هوى لها .
كالغراب يخطف قرص الصابون لا هويأكله ولا يتركه لصاحبه
فينتفع به

الفتاة التي تطأ بساط العز وتتهادى في مطارف النعمة
وتتقلب على حواشي الملك ويقول في اتراها شوقي بك :
امضى نفوذاً من زبيدة في الامارة والامير
لو خلاها من يستخبر فوادها اقلت :

ولبس عباءة ونقر عيني احب اليّ من لبس الشفوفِ
 وبيت تضرب النكباء فيه احب اليّ من قصر منيفِ
 ازدحمت قصور الظالمين بالكواعب الاتراب امثال الدمى .
 حبستهن عن العباد كرها ثم جادت بهن للعباد كرهاً . وقد يرغم
 الزمان على السماح اذا سطحت حوادثه شم الهضاب . ذلك ما يعظ
 وهيات المتعظ

نفسى فداء ارواح صعقت بين الاسوار المرفوعة والسجف
 المسدولة لم تمتع بنظرة الى هذا الوجود الحر في سمائه الضاحية
 ورياضه اليانعة وتلاعه الزاهية وانهاره الدافقة واطياره المتناجية .
 اذا استل الزمان سيف الصبح من غمد الليل تفرغت ووقفت تلقاء
 القدر ضعافاً . مثل هذه خايقة بأن يبكى عليها لانها تموت قبل ان تولد
 تستخف بعض النفوس وقر الاثم فتستحدث وقرأ . على انه
 سيأتي عليها حين من الدهر تنوء فيه باعباء ثقال . يا ويل المورطين
 في شبهات الجهل . اظلمت عليهم ليالي الحياة فلا يبصرون ما حولهم
 ولا تزال في العمر بقية وفي الدهر متمتع لو شاؤوا وانتباهاً . غير
 انى معزيهم عن ذلك بالصبر الجميل
 الحاج اسحق والحاج مقصود . لله فرسا رهان يتسابقان الى

غاية واحدة . حين مدوا أحدهما يمينه الى قبر النبي زائراً وطاف
 بالبيت واستلم الركن هل حسب نفسه يقرض الله سابقاً ام هو يعلم
 انه اغضبه لاحقاً . تحج المطايا ولا تحج الركبان . والقطار الزافر
 الصافر حين يطوي المدافد والتنوفات لا كبر عند الله ثواباً

الغرب بل مصر بها اناس يحمون الحيوان ولا يدعون ابن آدم
 يستبد به في جر الاثقال وطى السرى وبنات آدم تباع كما يباع
 البيغاء والبلبل وعصفور قناريا لتكون في اقصاص من الذهب تطرب
 بصوتها وتعجب بحسنها ان هذا هو البلاء العظيم

اما لو كان الامر بيدي لآفقت مجتمعاً من اهل النجدة
 وحاربت هؤلاء التجار تجار الاعراض والارواح وقلت يا اخواني
 هذا ملك الله امرحن في ارجائه بسلام

حرية الفكر

نحس بالآلام بين احناء الضلوع فنتكتمها صبراً ونسكت عليها
خيفة . لو كان هذا الصبر في موضع يحمل فيه لنطق من جوانبه
الثناء . ولكنه قصارى نفوس جبت وانصيرها الحق واقصرت
وشأوها بعيد

تغلبت سورة الجدل على سورة الدليل وبات كلام الانصاف
والصمت احب منه الى الناس . ألا قاتل الله المجاج . لا العقل
اغنى في الغاية على سلطانه ولا الهمم مضت في التملك على فجاجه .
كلما جهر بالحكمة ناطق تأتبت عليه عصب الغرور فسدوا بايديهم
فهو . يا ليتهم يجعلون اصابعهم في آذانهم تصاموا او يلففون وجوههم
الى ورائهم اعراضاً . ذلك اذن يهون . يحجبهم الصواب فلا يلبثون
ان يقبلوا عليه . غير انهم يعتدون فلا يدعون مكلمهم يكلمهم
فكيف يجدي فيهم نصح الناصحين

انما يقبل القول بعد سماعه ويرد بعد سماعه . وهذا البلد
يتعجل اهله الحكم سواء عليهم اصابوا ام اخطأوا . يريدون وليس

الذي يريدونه صواباً ولكنهم يحاولون ان يجعلوه صواباً . هذا
 محال . حقائق الاشياء لا يدخلها تغير . ومن لم يكن معه الهدى
 عليه ان يكون مع الهدى . اذا رام رشداً

قلت في احدى الصحائف السود التي تقدمت كلاماً على
 الاضاحي فهاج قلباً استوطنها التعصب وهاج عليّ اهل الشر من
 المخضرمين . عما الله عنهم ماذا يبتغون ؟ طوت الايام برد الشباب
 وانا لتنا من التجارب ما لا مندوحة فيه لجهل . ان يستطيلوا فقد
 استطال اسلافهم من قبل . انا ابن عصر عيت فيه الاسن وافصحت
 بعبرها الايام . ولي بجمد عبده وقاسم امين اسوة حسنة . بل لقي
 قبلهم الويل حتى الانبياء . استنجد ابن عمران بالهرب واعتصم بنفراج
 البحر وصلب ابن مريم وهاجر من وطنه العدناني عليهم السلام .
 جاؤوا من قبل الله فلم يشأ الناس ان يسموا كلام الله . فما ظنك
 بثلمي وهو اذا عدّ الرجال كان في آخرياتهم بل من انزواؤد في اعدادهم
 على انني لا اعجب من اهل القدم والمنتحلين صيغة الدين وانما
 اعجب من قوم لبوسهم لبوس اهل التمدن وما آكلهم ما كلم . يطاف
 عليهم بالآنية والجام في مجالس كأنها ديباجات الآفاق ثم يصبحون
 فيقارعون الناس بالدين . يرموننا بالكفر والمروق والزندقة ليثيروا

علينا اشياعهم . وما نبالي نحن من اشياعهم . ثم قلوب نيطت
 بصدور لم نتخذ درعاً سوى البأس الشديد . واذا كان اهل البطل
 لهم جرأة يبطلهم فان لأهل الحق جرأة بحقهم . ثم اني اقول :
 جاء شقيق عارضاً ربحه ان بني عمك فيهم رماح
 هلاً وعظمتهم مصارع الباغين واسترشدهم ما يلاقون من
 اهوان الناس فكانوا من الحكمة بالمكان الذي ينبغي ان يكونوا به .
 ماذا لهم ان يسمعوا وان يعوا . ايس في عرفان الحق من حرج . والحق
 سهل المنال لا يستعصي على من يحاوله

اقضي ليالي المحن مكباً على اوراق احبرها بما يملئ علي فؤادي
 ومن كان ترجمان فؤاده تخاطبته نبال اللاتمين . ادير عيني واجيل
 فكري فتعارض المشاعر والمدارك . تناغيني حقائق الاشياء فاجتلي
 محاسنها في مرآة الافق وبساط الارض ومثني السحاب وموجات
 الاهوية . تعالوا انظروا بعيني ثم لوموا . كيف لتساوى في المشاهدة
 عيون ناظرة واخرى مطبقة جفونها

تعالى الله وتعالى اديانه عما يفترى عباده . يذكرون الله ثم
 ون . كذلك فعل الناس بمن ذبحوا واي سيف لا تنبو
 هو ذلك الدين . به يغالبون كلما تساقط حججهم . وبه

يحاربون كلما اجفلت نعائمهم . بالله ربنا وربكم . اتنطقون عما في
 قلوبكم ام هو شأن جديد لكم مع احرار العباد . من اقوى منكم من
 الله حجة؟ لقد قامت حجته وحقت كلمته ونحن مصدقون من قبلكم
 حين كانت في بعض الصدور وساوس لتصلصل بين الترائب والنحور
 آه يا مصر . يا عروس ابناء الشمس وبلد المجد منذ خالية
 العصور . تفتأ الايام تستزيدك حسناً كلما تقادم مداك وتكسبك
 رونقاً يستعيبض ما خلا من صباحك . ما تمكنت من كمال الا ادركت
 بعده كمالاً كل شيء فيك ترقى جمالاً وظرفاً الا بعض النفوس .
 وددت لو ان في الدهر الشيخ نفساً ينقحها فيها . عسى يذكي جذوتها
 الخامدة او يتجلد مرة حتى يقدح زنده فيأتيها من الشباب
 بقبس جديد

رجال يمشون وعليهم شمالات صوف وهم في موكب النشأة
 المصرية . هذه ثياب جاهليتكم فاين ثيابكم؟ ما رأيت كهذا عناداً
 في الحق

غداً تختمتم انفاً المعدودة وتكف هذه الاقلام من صريها
 وتبقى في مصونات الطروس آثارها . تشهد لنا عليكم . انتم اعداؤ
 اليوم . وابناؤكم انصارنا غداً . ان نشكوكم وحدنا بل سوف نشراً

ومعنا عقابكم وانعمت الشهود يومئذ . يقولون آباؤنا كذبوا
وهو لاء صدقوا

سلام على رجال ينازلوننا ضعافاً . لنخفضن دونكم صدور
الاسنة اشفاقاً ولنجادلنكم جدال من لا يعوزهم الدليل . ميلوا على
جوانبنا انما تميلون على آباءكم . والحق لا تهزم كتيبة . غداً
تخفق على رؤوسكم اعلامه وترتفع في انحاء بلادكم صيحاته والله
أرحم ان يواخذ على الجهل انساً جنى عليهم كبارهم وفتنهم صغارهم
حسبنا ان نقول

ولو ان سافي الريح يجعلكم قذى لأعيننا ما كنتم بقداة
اما انا فليس شهد قراء اقوالي اني لا تزحزحني جلبة المتهورين
انا اغني الحق وكما صاح به الصائحون رن في اذنه مني ما قاله
ابو الطيب

فدع كل صوت بعد صوتي فانني انا الطائر المحكي والآخر الصدي

احد المشاهد الرائعة

(جراغان في اثناء الالهيپ)

هذا قضاء الله ام غدرُ
 اعلى مراد رحمت مضطرباً
 ام انت ممن فيك منتحر
 نبي نعم نبي على امل
 عن اربعين وخمسة سلفت
 انظال دور المجد آهله
 ويح القلوب وكنت حاجتها
 يبقى مصابك وهو يذكركنا
 برا (فروق) تباها زماً
 شطرا محاسنها التي اشهرت

ماذا اصابك ايها القصرُ
 من غيرة اذ ضمه القبرُ
 يا قصر ام فيما جرى سرُ
 فيك انقضى وقد انقضى الامرُ
 ما هكذا يستوجز العمرُ
 فينا ودورك بينها دثرُ
 ان لم يجدها بعدك الصبرُ
 لو كان ينفع مثلنا الذكرُ
 فانفك بر والتظلي برُ
 إما شكا شطر بكى شطرُ

** **

لما استقل بك الالهيپ ضحى
 وقف الزمان عليك منتحباً
 والزهر قدماً كن حاسدة

وبدا خلال دخانك الجمرُ
 واقام يندب حسنك الدهرُ
 لما اصبت بكت لك الزهرُ

الشمس اختك ثم كاسفة
 او ما رآك البحر ملتهباً
 فيجيش للنيران غاربه
 ركضت ليجدتك الجموع وقد
 كم جحفل مجر اليك سعى
 لا البيض اغنت في مناجدة
 طلبوا المياه لكي تغاث بها
 وعلا الدخان ذراك فاختبات
 فكأنها صورته محرقة
 قد كنت ديواناً قصائده
 سالت سطورك من صحائفها
 وانساب مهلاً وارتمى حمماً
 وقفوا امامك ذاهلين وقد
 فاخذت تنقص في نواظرهم
 لبس الخسوف شقيقك البدر
 بل لو رآك لجاك البحر
 ويبل حرّك ماؤه الغمر
 خفقت لها راياتك الحمرة
 فارتد عنك الجحفل المجر
 لما اهبت بها ولا السمرة
 فنأى طريق دونها وعر
 في جنحه آياتك الغر
 وكأنه من دونها متر
 تلك البدائع فامحى الشعر
 فعدت وما بصحيفة سطر
 ذاك اللجين وذلك التبر
 ملك السبيل عليهم الذعر
 ويزيد في اطرافك القفر

* *

يا منزل الاحرار اذ ملكوا
 يبكي عليك وان اوى جدثاً
 يبكي عليك مرادك الحر
 وعلاه بعد سقوطك الصخر

هذي الطول فاين تتحب اا
ما شتم حيست الاسود ولا
اطيار فيك ويضحك الزهر
كانت تسير ظباوءك العفر

* * *

يا عام جاء اخوك يغدرنا
أترى فروق ومصر اذبتنا
ومضى فقلنا قد مضى الغدر
شقيت فروق وبنتها مصر
غناك شوقها وحافظها
وهباك شكراً است صاحبه
فأئن تكن لانيك معذرة
فلا لبسك من محبرة
مغبرة تسعى مغبرة
يا عصر ان لم تستقم معنا
تبقى جدود الناس ناهضة
هذي خطوط ليس يحملها
فانشهدن عليك يا عصر
وجدودنا في خطوها العثر
جلد وينفد عندها الصبر

بطرس غالي في موكبه الاخير

مشى بعاصمة مصر يوم الثلاثاء ٢٢ فبراير سنة ١٩١٠ مشهد
لم تشهد مثله . ذلك مشهد بطرس غالي العظيم . من كرسي الرئاسة
الى مضجع الابد . لله درك من ظاغن

التي يراعه الذي سيره منذ كان في تدير مهام القطر وطوى
صحائف نقبا بما املته عليه مصلحة البلاد وقام مسرعاً لداعي حمامه .
كذلك كان يسرع الى داعي نخوته . لك الله من شهيد قوم مضرجاً
بدمه وكأنه مضمخ بطيبه . كرمت حياً وميتاً . فما ابكيت عيناً
الأ يوم مصرعك ولا اشكيت لساناً الأ يوم فراقك . ان افصح
الافواه شكاية من غدره لي جراحاتك الدامية . كل قطرة من ذلك
الدم البريء عند الله اجرها وعلى الانسانية والعصر العشرين عارها
قال النعاة : قتل احد الباغين بطرس باشا غالي . قلت :

لقد قتل مصر

ما ماد الهرمان ولا صاح بالويل ابو الهول ولا غيض النيل
ولا خسف الصعيد ولكن قال عظماء الغرب : مصر في حالة يخشى
على الامن منها

يا ويح هذه القلوب ما اقساها . تسرع اليها عوامل مختلفة
 من الشرففتها لقبولها واذا سرت نحوها نفحة خير قويت عليها
 مغالقتها . وكم من حياة طيبة هي في قبضة خيث يختطفها . وحين
 تجتمع على البث قلوب تساوت في الحرقه وتعلو النوحات من جوانب
 بيت ازمع غاليه ويهال التراب على جسد نشأ في النعمة واقل نفساً
 لم تشق نفساً ماذا يستشعر اهل الاعتداء

تهادى نعش بطرس الجليل بين عباد الله من اجنبي ومصري
 ومسيحي ومسلم وموسوي وكل امرء ابصر ذلك التابوت علم ان فيه
 قتيلاً . شهيداً . مظلوماً . لا الجياد المطهمة ولا عربة المدفع
 ولا اكليل الزهور ولا الاعلام ولا الجنود ولا السراة ولا الاقيال
 لتخفف عن النفوس هول ما راعها . تلك زخارف زادت المصاب
 المأ وزادته على حق عظماً

بالسرق داء عقام ان يستأصل او يميد سرواتهِ ويخلي دوره
 ويطحطح الشم من ذراه . مبيد اهل القرون الاولى مفيض بحار
 الدماء مفرق بين الآلاف مزعزع اركان الممالك —

حسبهم الله . اقلقوا النيام في مضاجعهم واتعبوا الرائيين
 والغادين في طرقاتهم ودوت صيحاتهم في الآذان حتى كادت تصمها

اعولوا ثم اعولوا ليحيَ الدستور ليحيَ الدستور ليحيَ فلان وليسقط
فلان . أمن اجل هذا كانوا يريدون الدستور ؟

قام بالامس احد قراء سورة يوسف فاصدر جريدة دينية
جديدة ليجعلها احدى البلايا على الدين وبنيه . ماذا تريد بطبلك
يهذا المطبل . أنبي انت ام امام ام فقيه ام سياسي ام اديب ام
ثرثارة . تريد التعيق على اطلال بلد لست من اهله . حسبك
واحدة ارتنا نفثاتك . تلك نفثات ستفر غداً منها وستظل هي على
اثرك وان الله لبالمرصاد

قف بين ربوع مصر وانشد

واني قد جنيت عليك حرباً تفص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح منها فتى شبت لآخر غير صاح
بين العظاة وبين قلوب الطغاة سدود لا تحرقها الا صدور
الحوادث فاذا كان ما ابتغته الغواية تراجمت القلوب نهاها ولكن
بعد ان يفور التنور ويتفاقم صدع البلاء

رأيت بعض الجرائد نائرة على الامة القطبية . فأوجست
خيفة . وقد حدثتني النفس ان اصبح بها مسترجعاً . ثم علت ان
تلك صيحة يرن صداها ولا تصل الى سماع من تلك المسامع الصم

فآثرت السكوت وفي العين قذى وفي الخلق شجماً وهذا الخطب
الذي نكبره اليوم لاحدى عواقب تلك الجهالات

اثم هذه الامة على - رجال صحافتها - يأتهم الدعي من
الادعاء وفي يده ورقة بها ايات لو قرأها اكبشاعر لها الله من
سجيته عمل الشعر او بالمقالة وليس بها شيء يصح ان يقال ثم هم
ينشرون له كلامه ناعتين اياه بالشاعر المفلق والكاتب البارع
والفاضل الاديب حتى لقد اصبح البقالون ومانسحو الاحذية شعراء
ادباء كتاباً فضلاء وبات دفة السياسة المصرية بايدي قوم عجز
احتلال الانكليز اكثر من ربع قرن ان ينعل اقدامهم الحافية .
اوئك الذين يتصايحون قائلين ليحي - لدستور . اوئك الذين يتخذون
من الدين سهاماً يدمون بها الافئدة . ضالين ومضلين وبئست الخاتان
ما اريد بمقاتي هذه ان ارثي فقيده مصر الغالي . فذلك ما
استودعته سجية الشعر . ولتأتين الرواة غداة قصيدة كمنذب هلي
تستعاد ثم تستعاد الى ان يمل الناس القريض فلينتظرها ملوك
الكلام . ان بها لموانع للسجود . وهذا كلام تعجبه نفس غلى مرجلها
واشد وقودها . بلى هذه شقشقة هدرت ولا ادري متى تستقر
بني مصر هذا كلام نتناقله الصحف غداً في اقطار الارض .

حيث ينطق ناطق بالضاد . هو حجتي عليكم فانظروا ما اتم فاعلمون .
 إلا تريدوا الانصاف ترغموا عليه وفي الحكومة بأس وعدل
 يستوقفان العدوان . فسيروا خير لكم من ان تساقوا . ولا تحسبوا
 ان اعقاكم اكثركم كلاماً

اليوم عدت حكومتكم وزيراً عاقلاً ولي الرئاسة . وشكلت
 مصر خير وطني اظل نظارتها . ويقول ذو اليد التي اسلمها الله انه
 خدم الوطن وخلص الوطن ولا يدري انه اجيز على الوطن
 بني مصر ان لم يميت فقيد مصر بيد قاتله فما هو الاميت كما
 سموت . غداً تحفف الايام عظم مصابه حتى عن قلوب ذويه . اما
 عار قتله فقد سجلته عليكم تسجيلاً

عجياً للفتى منا يخطر خطرات العروس ليلة زفافها . يرى الى
 الدجاجة وهي تضطرب مذبوحة فترتعد لها فرائصه ثم هو يطاوع
 غروره وينقاد لغوايات قوم فيقتل الوزير في دار الحكومة . وما
 جنى عليه الوزير ولا جنت الحكومة ولكن نفسه احبت الجناية .
 خرجت من مصر وفتيانها كآرام الصريمة في غير نفار ورجعت
 اليها وكم بين فتيانها من الذئاب . ما هكذا كان العهد ببناء النيل .
 أوراقه تطبع كل يوم ليلف بها الزيتون والجن تنسيهم القانون وتشط

بهم عن مهبع السداد ؟ واخجلتاه !!

ماذا جنى هذا الفقيد المظلوم . صاح اكثركم مذكراً بمجاثم
دنشواي وتشدق آخرون باتفاق انكلاترا ومصر على السودان وشكا
غيرهم من قانون المطبوعات . وهل كان لهذا الوزير هذا القدر
من التفرد بالارادة والخيار في الفعل ؟ ومن اهاج اهل دنشواي
ومن اتى بقانون المطبوعات . سائلوا تلك الجرائد التي تود ان توقع
البلد في الهلاك عسى ان توافيكم بجواب سديد

الاقباط هم اولو مصر قبل كل مصري . ما زال الجور يتصيدهم
حتى قلوا عدداً ووفرتهم وخسروا وكسبتم ثم من الله بعدله فقالوا
نحن اخوان أفلا تريدون ان تكونوا لهم اخواناً ؟ فما لهذه البرائن
اذن داميات ؟

دعوا هذه الاضاليل وميلوا على اخوانكم ميل ود وصفاء وفتوا
امام الحكومة العادلة التي تشتمونها كل يوم الف مرة وتحنو عليكم
كل شارقة الف مرة . قولوا لها ايها الحكومة نحن واثقون بذلك .
قفي بنا عند حد الرضاء وذروا تلك الصحف تموت وبافواها لجم من
العجز تلو كها الى حين

سلام عليك ايها الوزير الغالي في جدتك وعزائك لمصر على

فقدك الاليم ولتهداً قلوب امتك الجليلة . ثم قلوب لا تخفر لكم ذمة
واقلام هي سيوف الحق . والحق لا تنهزم انصاره

الشقاق

تركي وجع في قلبه فهو ينادي اخوانه العرب :

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفوناً
لا تطعموا ان تهينونا ونكرمكم وان نكف الاذى عنكم وتأذونا
الآن لما امال الله عمود الظلم واعتدل الحكم في نصابه يبرز
لنا من مكان الفتنة من تساوى لديه حاضر وماض . اين كانت
نخوتك بالامس ايها الناطق المرقش عنا ؟

قال الداماد فريد باشا كلاماً انطقه به اتصاله بالاسرة الحاكمة .
اراد تقرباً بغير الانصاف ففعل . كذلك من اوتوا الجاه ونالوا
الرفعة من غير كد . ونحن ما ذنبنا حتى نشتم وماذا جنينا فنؤاخذ
عليه

ابداً نراع بصيحات . تكسرت النصال على النصال . تزجي
الينا كل داهية ناد . اخنفت النقرات والغناء واحد . يشكون الترك
يذمون الترك . عني الله عنهم ماذا لهم عند الترك ؟

رأيت في مقطم امس مقالة مذيلة باسم عزت الجندي .
 جعلها من صدره بمكان القلادة . هذه احدى نافذات السمام . بلى
 هي احدى المفرقات . اخال مقطمنا ذكرها ليدكر هذه التي اخط
 خططها واجزع انماطها . حبذا المنبر يتبارى عليه خطباء الاقوام .
 لا ثار الله من خاتمه موافقه منا

بي شجون وكننت في حاجة الى الافصاح ومن جاش حميه
 وغلى مرجه استطاب المقال . فاجلي ايها النفس صبراً عسى
 تنجلي غمامة هذا العارض المتألق عن صيب يدع الغدران مترعة
 ويسقي عطاش القيعان

شهد الله وكل عثماني حر يكون قرأ لي شيئاً اني لا اتعصب
 للدين ولا للجنس . انا تركي وابغض عباد الله الي تركي يعتدي .
 احب العناصر العثمانية كلها واخذ بناصر المستضعف منها . ثم احب
 العرب حباً خالط الروح وجرى مجرى الدم من العروق وأنا عربي
 الادب والقلم عربي النزدة ومن ابغض العرب فانا مبغضه . اوانك
 اخواني الذين اغنيهم فيطربون واحدهم فيقبلون علي بالسمع . هكذا
 عهد العرب الكرام باخيههم هذا

غير اني لا اكذبهم . اني كذاك لا احب من يسب الترك

ولا من يكون لهم عدوًّا وكذلك العرب لا يحبون من لا يحب
اخوانهم . واذا جرى بين العرب والترك شر . اكون يومئذٍ بمعزل
عن كليهما داعياً عليهما بالفشل معاً

واني لا انكر ان في الترك اناساً يبغضون العرب واني لا اجهل
ان في العرب رجالاً يبغضون الترك . كل امة بها سفهاك ولا تكون
امة باسرها سفية ابداً . وعقلاء الامتين متفقون على ود لا يتطرقه
تغير على توالي الاعصار

زعم عزت الجندي ان الذين خانوا الدولة هم اترك ثم ذكر
ارجالاً منهم محمد علي الاول . مؤسس الاسرة الخديوية بمصر . سامحه
الله . ان محمد علي خالي . جدتي شقيقته . لا تصح شهادتي له . فانا ادع
الحكم في خيانتة ووفائه لاهل الانصاف

ولكن مصطفى فاضل قائد كتائب الحرية ومدحت ابا
الدستور تركيان . الصقولي والكوبرلي ايضاً تركيان وغير هؤلاء
كثير اذا شاء الجندي ذكرت له اسماءهم وعددت ما تيسر
من اعمالهم

وما لنا والفخر بمن ماتوا . نحن في حاجة الى العمل ولسنا في
حاجة الى القول . فلينكر على الترك ما شاء وليتهمهم بما شاء . كل

ذلك لا يخرجهم من العثمانية ومن حق العثمانية ان يكون كل ابناؤها
اخواناً لا متغايرين ولا متحاquدين

ارني ايها الكاتب الجامع قلمه تركياً يرمي العرب بمثل مارميتنا
انت به وانظر ما اقول له . اني الين لك المقال لا اكراماً لك ولكن
جريباً على آدابي وآدابي عربية . ثم اخشى ان يقول اخواني العرب
ان ولي الدين متعصب وان تذهب عني ثقتهم وهي لعمرى ثقة
اغلى علي من حياتي

لك ان تلوم الترك ولك ان تبغضهم اذا شئت ولكن ليس
لك ان تسبهم . هذا عيب لا ارضاه لعثماني في الوجود

اذا قرأ كلامك هذا احد جهلاء الترك ورد عليك بما يمس به
قومك وتعاضم الشريين الترك والعرب وتساقوا كؤوس الموت
وخلت الديار وجرت الدماء . اتكون افدت بلادك ام تكون نفعت
العثمانية . اذا تغاب العرب على الترك او فاز الترك على العرب كان
الخطب واحداً . ما في المصيبتين واحدة تفضل الاخرى . فماذا
تبتغي بهجرك ؟

آمت قلوباً آلمها الزمان بمجواته . انا مارضيت النبي سبع سنين
ولا زرت السجمن بين الاسنة من اجل الترك وحدهم بل من اجل

العثمانيين . ولا امسكت هذا اليراع منازلاً كل معاند الأمانة في
العثمانيين . ولكنني رميت في قومي بما لم أو مل وجاءت نعمتك هذه
كالملح على الجرح . ولو استبقيت مثل هذا القلب لاستبقيت
وداً جميلاً

كفي كفي . ان كانت هذه الحوادث لا تعظنا ان نكون من
الجاهلين فقد اضمرت الايام لنا ما اضمرت . فاكتب ايها الكاتب .
ولو ذات سوار لطمتني . ما انت بالحكم الترضي حكومتُهُ
ان كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت ايامي
هذا ما استطعت ان اكتب بيد راجفة وفكر شتيت . اما
الداماد فسيكون لي معه كلام طويل . فلينتظرهُ على مقعده الوثير
وفي جاهه العريض . ان في بعض الوعد معاني الوعيد

